مجلة شهرية

Issue No: 225 عدد:

March 2026 شهر آذار

نـــــــور يسوع المسيح المســـــيح

ΦΩΣ الغـالب ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

السجود للصليب الكريم المحيي

لصليبك يا سيِّدنا نسجد، ولقيامتك المقدسة نمجد

كلمة صاحب الغبطة
بطريرك المدينة المقدسة اورشليم
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد شفيعه
القديس الشهيد ثيوفيلوس
الذي مع الشهداء الاربعين

٩- ٣- ٢٠٢٥ ش ،
الواقع في : ٢٢- ٣- ٢٠٢٥ غ

ينشد صاحب المزمور قائلا: «وَلْيَبْتَهِجْ وَلْيَفْرَحْ بِكَ جَمِيعُ الَّذِينَ يَبْتَغُونَكَ يَا اللهُ، وَلْيَقُلْ فِي كُلِّ حِينٍ: لِيَتَعَظَّمِ الرَّبُّ، الَّذِينَ يُحِبُّونَ خَلاَصَكَ.» (مز ٦٩: ٥).

ايها الاباء الاجلاء والاخوة المحترمون،

ايها الزوار المسيحيون حسنو العبادة.

كنور اشرق اليوم في مسكن الله، في مدينته المقدسة اورشليم، في الذكرى السنوية للجوق الالهي للشهداء الاربعين المقدسين، مع شريكهم في الاستشهاد ثيوفيلوس.

إنَّ هؤلاء الشهداء القديسين، كانوا: «كَامِلِينَ فِي فِكْرٍ وَاحِدٍ وَرَأْيٍ وَاحِدٍ» (١كور١:١٠)، قد احبوا والتمسوا خلاص الله، اي **الرَّبّ والمخلص المسيح**، مترنمين «وقائلين في كُلّ حين»: «ليتعظم الرَّبّ» (مز٦٩:٥). لذلك فان **القديس باسيليوس الكبير**، في مدحه لموتهم الاستشهادي من اجل نور **المسيح**، يقول: «انه ليس امامنا موضع عجب في شخص واحد، ولا في اثنين فقط، بل في اربعين رجلا، كأنهم نفس واحدة في اجساد متعددة، متحدين في الانسجام والاتفاق في الايمان، ومظهرين الصبر نفسه تجاه المحن والدفاع عن الحق».

إنَّ هؤلاء الشهداء الاربعين الظافرين قد صاروا مقتدين ومتمثلين بأوَّل الشهداء القديس استفانوس، سائرين على خُطى **المسيح** الذي هو «الشهيد الامين والحقيقي» (رؤيا ٣:١٤)، الذي بآلام صليبه اسس الكنيسة، كما يشهد الانجيلي يوحنا قائلا: «وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ» (يوحنا ١٢ :٣٢).

وبما ان الكنيسة هي «جسد **المسيح**»، فاجساد المسيحيين هي اذن «أَعْضَاءُ الْمَسِيحِ» (١كورنثوس ٦:١٥)، وهي مدعوة لتقدم **لله** شهادة الدم من اجل خلاص البشر. فالسيِّد **المسيح** نفسه قد سبق وانبأ **تلاميذه الثلاثة** الاقربين اليه بانهم سيتبعونه في آلامه الاستشهادية (مرقس ١٠ : ٣٩)، وقد اعلن للجمع قائلا: «إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ» (يوحنا ١٢ : ٢٤). لقد قدم هؤلاء الاربعون المطوبون ثمرهم الوافر لكنيسة **المسيح** بدم شهادتهم، معلنين بهذا سر التقوى، اي التدبير الالهي، كما يبشر **الرسول الالهي بولس** قائلا: «وَجَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا بِالتَّقْوَى فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ يُضْطَهَدُونَ.» (٢ تيموثاوس ٣:١٢). وذلك لانه بحسب قول الرَّبّ: «لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟» (مرقس ٨: ٣٦).

ويقول **العلامة اوريجينس** في شرح قول الرَّبّ هذا: « إنَّ النفس التي خُلقت على صورة الله هي اكرم من كل الاجساد، وواحد فقط بمقدوره ان يقدم فداء للنفس الهالكة، وهو الذي اشترانا بدمه الثمين» . ويعلِّم بمثل ذلك **القديس إكليمنضس الروماني**، أسقف رومية قائلا: «بدم الرب يكون الفداء لكل الذين يؤمنون ويرجون الله».

لقد نال الشهداء المختارون هذا الفداء، متقدين وملتهبين بدم **الله**، حسب تعبير **القديس اغناطيوس**، وكما يقول بطرس الرسول: «فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلكِنْ مُحْيًى فِي الرُّوحِ» (١بطر٣: ١٨). ويعلق **ايكومينيوس** على هذه الاقوال الرسولية، مبيِّنا المعنى العميق للشهادة من اجل خلاص البشر، قائلا: إنَّ (الرسول بطرس) يظهر ايضا فاعلية المتألم (اي المسيح) وقدرته عندما استخدم تعبير «مرة واحدة». وذلك لان معاناة المتألم، كما يقول **ايكومينيوس**، كانت عظيمة جدا من اجل البشر، حتى انه على الرغم من كثرة خطاياهم، كان الم واحد فقط للرَّبّ كافيا لمحو كل قوة خطايانا نحن البشر.

إنَّ كنيستنا المقدسة تُظهر لنا كيف يتم اضعاف قوة الخطايا بشكل مثالي من خلال الاحتفال بذكرى الاربعين شهيدا المباركين، الذي ينشد

لهم القديس يوحنا الدمشقي مترنما بكلمات واقوال القديس باسيليوس الكبير قائلا: لقد احتمل الشهداء القديسون الآلام الحاضرة بشجاعة لفرحهم بالخيرات المرجوة. يقول بعضهم لبعض: «العَلَّنا ننزع عنا اثوابا؟ لا، بل انما نخلع الانسان العتيق. الشتاء قاس، ولكن الفردوس حلو لطيف. دَنَقُ البَرْدِ أَلِيمٌ، وَلَكِنَّ النَّعِيمَ لَذِيذٌ. (دَنَق: الشِّدة البالغة القُصوى) فلا نجزع ولا ننثن عزمًا يا رفقاء في الجندية، بل لنصبرن على الضيم قليلا، فَنُتَوَّج باكاليل الظفر من لدن المسيح الاله مخلص نفوسنا».

ان الخاصيَّة والسِّمة المميزة للقديسين الاربعين شهيدًا هي انهم، من ناحية، نالوا «الدعوة المسيحيَّة»، ومن ناحية اخرى اصبحوا «سُفراء للكنيسة». وهذا لانَّه كما يقول المزمور: «لَا قَوْلٌ وَلَا لُغَاتٌ، لَا تُسْمَعُ أَصْوَاتُهُمْ. فِي كُلِّ الْأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَفِي أَقْطَارِ الْمَسْكُونَةِ انْبَثَّ كَلَامُهُمْ.» (مزمور ١٨: ٤-٥). وبحسب القديس باسيليوس الكبير فان الشهداء القديسين «اعلنوا بصوت حُرٍّ جلي، وبشجاعة غير هيابين من المشاهد الهائلة امامهم، ولا جزعين لما توعدوا به، واعلنوا جهارا انهم مسيحيون».

إنَّ اعلان الاربعين شهيدًا، مع رفيقهم في الاستشهاد ثيوفيلوس، انهم مسيحيُّون له دلالة خاصة، لانَّه يندرج في اطار الفكر الالهي المستوحى من الكتاب المقدس لدى اباء الكنيسة العظام والمعلمين الالهيِّين، والمبني على كرازة الرسول الالهي بولس الذي قال: «فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا دُعِيتُمْ لِلْحُرِّيَّةِ أَيُّهَا الإِخْوَةُ.» (غلاطية ٥:١٣)، اي بمعنى اخر: دعيتم لتكونوا مسيحيِّين. لهذا فانَّ الرسول بولس يحثنا قائلا: «فَاثْبُتُوا إِذًا فِي الْحُرِّيَّةِ الَّتِي قَدْ حَرَّرَنَا الْمَسِيحُ بِهَا، وَلاَ تَرْتَبِكُوا أَيْضًا بِنِيرِ عُبُودِيَّةٍ.» (غلاطية ٥: ١).

إنَّ هذا اليوم البهي المجيد لعيد القديسين الاربعين شهيدًا، وبالاخص القديس الشهيد ثيوفيلوس المستشهد معهم والذي تحمل اسمه الجليل حقارتنا، يشكل بحسب تعبير القديس اثناسيوس الكبير: «مثال الفرح العلوي»، اي فرح الملائكة في السماوات. وهذا لان اولئك الذين احبوا المسيح صاروا مشاركين في دماء موت المسيح الاستشهادي، لهذا انتقلوا من الموت الى الحياة. فاما الحياة فهي المسيح نفسه كما يشهد هو قائلا: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ.» (يوحنا ١١: ٢٥).

فالشهداء الابطال الذين يؤمنون برئيس ايماننا ومكمله، اي المسيح القائم من بين الاموات، يتبعون مثاله في تحمل الشهادة. دعونا نسمع شهادة اسقف سميرنا الشهيد بوليكربوس الذي قال: «ايها الرَّبُّ الاله... ايها الاب، من اجل فتاك يسوع المسيح اباركك لانك قد اهلتني لهذه الساعة واليوم، لكي اكون جزءا من عدد الشهداء في كأس مسيحك، من اجل قيامة الحياة الابدية للنفس والجسد بدون فساد، في روحك القدوس».

إنَّ كنيسة اورشليم المقدسة تكرِّم بفرح وحبور ذكرى الاربعين شهيدًا، وبالاخص القديس الشهيد ثيوفيلوس المستشهد معهم والذي تحمل حقارتنا اسمه الجليل. فذهبنا حيث موضع صلب ودفن وقيامة مخلصنا المسيح، واحتفلنا متمِّمين بطريركيًا سرّ الذبيحة الالهية غير الدموية، اي سرّ الشكر الالهي، برفقة اخوية القبر المقدس الاجلاء من رؤساء كهنة وكهنة وشمامسة، ولفيف من ابناء رعيتنا المسيحيين الاتقياء، ممجدين الرَّبّ الذي عجب قديسيه.

وايضًا رفعنا المجد والشكر لالهنا الواحد المثلث الاقانيم، وهذا لانني احمل اسم القديس الشهيد ثيوفيلوس، صانعين عيد اسمنا الموقر، ومباركين ربنا ومخلصنا المسيح. وكما يقول القديس الشهيد في الكهنة بوليكربوس سميرنا: « نباركك ربنا يسوع المسيح، مخلص نفوسنا وسيد اجسادنا وراعي الكنيسة الجامعة الكائنة في العالم كله.».

وايضًا صنعنا توسلًا وتضرعًا من اجل الكنيسة الارثوذكسيَّة الواحدة والجامعة والمقدسة والرسوليَّة في المسكونة، ومن اجل المحبوبين في المسيح رؤساء الكنائس والاخوة في الكنائس المحليَّة، لكي نتعاون من اجل علاج الانقسامات التي اصابت الشركة ووحدة الكنائس، سامعين لصوت القديس الرسول بولس الالهي: «... مُجْتَهِدِينَ أَنْ تَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلاَمِ.» (افسس ٤: ٣).

مقتدين ومتمثلين بالقديسين الشهداء الاربعين كما يظهره لنا بشكل رائع اب الكنيسة العظيم القديس باسيليوس الكبير اذ يقول: « انه لم يكن لهؤلاء الشهداء وطن واحد، بل كلٌ منهم قد نشأ في بلدة ما، فجنسهم البشري مختلف، واما جنسهم الروحي فهو واحد. فانَّ لهم ابًا واحدًا هو الله، وجميعهم اخوة لم يلدهم رجل وامرأة، بل ولدوا بتبني الرُّوح القُدُس، والفت بينهم وحدة المحبة المتبادلة».

وبحسب القديس يعقوب اخو الرب، اول رؤساء اساقفة اورشليم، الذي برحمة الله أُقمت انا خليفة لعرشه الرسولي، يقول: «حيث الغيرة والتحزب هناك التشويش وكل امر رديء. وامَّا الحكمة التي من فوق فهي اولًا طاهرة، ثم مسالمة، مترفقة، مذعنة، مملوءة رحمة واثمارا صالحة، عديمة الريب والرياء» (يعقوب ٣: ١٦-١٧).

هذه هي حكمة الرَّبّ السلاميَّة غير المتصنعة التي نطلبها ونسعى لتحقيقها، خصوصا في منتصف ميدان الامساك وضبط النفس، اي في منتصف فترة الصوم الاربعين المقدس المبارك، لكي بشفاعة والدة الاله الفائقة على كل البركات، سيدتنا والدة الاله الدائمة البتولية مريم، مع صلوات القديسين الاربعين شهيدًا وشريكهم في الاستشهاد القديس ثيوفيلوس، وبقوة الصليب الكريم المحيي، ان نظهر مستحقين ان نبلغ بتوبة وسلام الى قيامة ربنا المجيدة، مخلص نفوسنا. لهذا اضرع الى الله من اجل جميع من شاركنا اليوم في هذه الصلاة والذين حضروا معنا مكرمين تذكار عيد القديسين الشهداء الاربعين، ان يمنحهم قوَّة من الصليب الكريم، واستنارة من العلاء، وموهبة الرُّوح القُدُس، ونعمة من القبر القابل للحياة، وصبرا وكل بركة من لدن الله مخلصنا.

البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم
مَعَ أَدْعِيَتِنَا وَبَرَكَاتِنَا الأُبَوِيَّةِ

الأحد الأول من الصوم الكبير أحد الأرثوذكسيّة

للقديس يوستينوس بوبوفيتش الصربي

فَقَالَ لَهُ نَثَنَائِيلُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُنِي؟ ❋ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: قَبْلَ أَنْ يَدْعُوكَ فِيلِبُّسُ، وَأَنْتَ تَحْتَ ٱلتِّينَةِ رَأَيْتُكَ

القدّيس يوستينوس بوبوفيتش (١٨٩٤–١٩٧٩) هو لاهوتيّ أرثوذكسي صربي، ناسك، ومعلّم روحي عظيم في القرن العشرين، ويُعدّ من أبرز آباء الكنيسة المعاصرين. وُلد في صربيا وترهّب وصار أرشمندريتًا، وعُرف بدفاعه العميق عن الإيمان الأرثوذكسي الآبائي **في وجه الإلحاد والماديّة وكلّ فكرٍ يُفرغ الإنسان من معناه الحقيقي**. شدَّدَ في تعليمه على أنّ **المسيح** هو المقياس الوحيد للإنسان والوجود، وكان يردّد: «من دون المسيح، الإنسان هو مأساة بلا معنى».

عاش حياة نسكيّة صارمة، مليئة بالصلاة والدموع، **وتعرّض للاضطهاد في زمن الشيوعيّة**، فصار شاهدًا حيًّا للحق لا بالكلام فقط، بل بالحياة. ومن أشهر مؤلّفاته كتاب **«حياة القدّيسين»**، وهو عمل آبائي عميق، إلى جانب كتابات لاهوتيّة وروحيّة عن الكنيسة، والتوبة، والإنسان. وقد أُعلن قدّيسًا رسميًا في الكنيسة الأرثوذكسيّة الصربيّة سنة ٢٠١٠. إنَّ **القدّيس يوستينوس هو صوتٌ آبائيّ في زمن الضياع**، جمع بين النقاوة النسكيّة، والعمق اللاهوتي، والغيرة الصادقة على خلاص الإنسان.

العظة - أحد الأرثوذكسيّة

بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. آمِين.

اليومَ، أَيُّها الإِخْوَةُ وَالأَخَوَاتُ، نُعَيِّدُ الأَحَدَ الْمُقَدَّسَ، أَحَدَ الأُرْثُوذُكْسِيَّة، وهوَ أَحَدٌ مِنَ الآحادِ الاثْنَتَيْنِ وَالخَمْسِينَ لِلسَّنَةِ، الَّتي يُدْعَى كُلُّ واحِدٍ مِنْها أَحَدَ الأُرْثُوذُكْسِيَّة.

أحدٌ عظيمٌ ومقدَّس.

أحدٌ يُعيَّدُ فيه بانتصار الأرثوذكسيّة **على كلِّ كذب،**

على كلِّ **لا-حقّ،**

على كلِّ **هرطقة،**

على كلِّ **إلهٍ كاذب؛**

انتصار الأرثوذكسية على كلِّ **تعليمٍ كاذب،**

وعلى كلِّ فلسفةٍ **كاذبة،**

وعلى كلِّ **عِلمٍ كاذب،**

وعلى كلِّ **حضارةٍ كاذبة،**

وعلى كلِّ **صورةٍ كاذبة.**

إنّه انتصارٌ مقدَّسٌ للأرثوذكسية.

وهذا يعني: الانتصارَ المقدَّسَ للحقِّ الكامل.

ولكن مَن هو الحقّ الكامل في هذا العالم؟ مَن هو الحقّ في هذا العالم؟ إنّه ذاك الذي قال عن نفسه: «أنا هو الحقّ» **يسوع المسيح**.

الله في الجسد. ها هي الحقيقة في عالمِنا الأرضي، هيَ الحقيقةُ للإنسان. «اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ» (١تيموثاوس٣: ١٦). إنّ **الربَّ يسوعَ المسيح اتَّخذَ جسدًا**، لكي يقولَ لنا نحنُ البشرَ، بجسدِنا، ما هي الحقيقة، وكيفَ يحيا الإنسانُ في الحقيقة، وكيفَ يموتُ من أجلِها، وكيفَ بها يحيا حياةً أبديّة. لقد **جمعَ المسيحُ** كلَّ الحقائق، وأعطانا الحقَّ الكامل للأرثوذكسية. أي **«أعطانا الحقّ الكامل الذي تُحفظ وتُعاش في الأرثوذكسيّة»**[ص ٨١–٨٢].

عندما نزلَ **الله** إلى هذا العالم، **الربُّ يسوعُ المسيح**، صارَ منظورًا لنا نحنُ البشر. صارَ **الله** منظورًا. ونحنُ، إذ نراه، نرى في الحقيقة **اللهَ الحيّ**.

إنّه الصورةُ الحيّةُ لله في العالم.

بحفظِها الصورةَ الحيّةَ لله في هذا العالم، حفظتِ الكنيسةُ الأرثوذكسية الإنسانَ، وحفظتِ **المسيحَ كإنسان**. إنّ الله نفسَه صارَ إنسانًا لكي يجدَ فينا نحنُ البشر الصورةَ الإلهيّة، الصورةَ الإلهيّةَ الحيّة، تلك التي شوَّهناها بخطايانا وأهوائنا، وحرّفناها، ولوّثناها كلَّها بحياتِنا الخاطئة.

كما يُقال في الترانيم الكنسيّة العجيبة، إنّ **الرَّبَّ** نزلَ إلى هذا العالم، وصارَ إنسانًا **«لكي يُجدِّد صورتَه»**، أي ليُجدِّد صورتَه الخاصّة في الإنسان؛ تلك الصورة التي **«فسدَت بالأهواء»**، أي فُسِدَت بنقائصنا وبخطايانا، فصارَ الإنسانُ صورةً مشوَّهة، صورةً قبيحةً لله. أمّا **الله**، إذ نزلَ إلى هذا العالم كصورةٍ نقيّةٍ، طاهرةٍ كليًّا، **لله، وبصفته إلهًا**، فقد أظهرَ ما هو الإنسان، وما هو الإنسانُ الكامل، وكيف يجب أن يكونَ الإنسانُ في هذا العالم. [ص ٨٣].

كيف يجب أن يكونَ الإنسانُ في هذا العالم؟

إنّنا في هذا العالم نحارَبُ حقًّا، نحارَبُ باستمرارٍ من أجل هذه الصورةِ الإلهيّة الكامنة في نفوسِنا.

مَن الذي يسرقُها منّا؟ **جميعُ محاربي الأيقونات.**

أوّلُ محاربٍ للأيقونة هو **الخطيئة**. **فالخطيئة** لا تريد **الله**؛ لا تريد **الله** لا في داخل الإنسان، ولا في العالم من حوله. وبالخطيئة، وبالدرجة الأولى، يكون محاربَ الأيقونة **الشيطانُ وملائكتُه، الشياطينُ البغيضة.** أولئك هم الذين يسرقون نفوسَنا، ويكدّسون الخطايا في نفوسِنا، ويغطّون الصورةَ الإلهيّة الكامنة في داخلنا. وبالقارِ الأسودِ للخطيئة يلطّخون الصورةَ الإلهيّة الموجودة في نفوسِنا. وحين يحيا الإنسانُ غيرَ تائبٍ في الخطيئة، ولا يجاهد ضدّ خطاياه، ويبقى فيها، ولا يعترف بها، فماذا يبقى من نفسِه؟ تبقى الصورةُ الإلهيّة **ملوَّثةً بسوادِ قيحِ الخطيئة، وبالأهواء، وبالموت**. مشهدٌ مرعب، وعارٌ مخيف!

فما معنى إذًا أن يكونَ الإنسانُ صورةَ **الله؟**

هذا يعني، أيّها الإخوة، ما يلي:

نحنُ لنا عقل، لكنَّ عقلَنا هو صورةُ عقلِ **الله** في داخلنا.

ونحنُ لنا إرادة، لكنَّ إرادتَنا هي صورةُ إرادةِ **الله** في داخلنا.

ونحنُ لنا إحساس، لنا قلب، لكنَّ هذه كلَّها هي صورةُ الإحساساتِ الإلهيّة في داخلنا.

ونحنُ نحيا في هذا العالم، لكنَّ هذه الحياة هي صورةُ حياةِ **الله.**

ونحنُ كصورٍ **لله**، غيرُ مائتين، لكنَّ هذا هو صورةُ خلودِ **الله.**

لقد خلقَنا **اللهُ** على شبهه، لكي نحيا في هذا العالم به، ولكي يفكِّر عقلُنا دائمًا قائلًا: انتبه، مِمَّن أنت؟ أنتَ من **الله**. فلتكن أفكارُك أفكارًا نقيّة، أفكارًا إلهيّة.

عندئذٍ تكون إرادتُنا كاملةً وسليمةً، حينما تتوافق مع إرادةِ **الله**، مع أصلِها. ويكون إحساسُنا حينئذٍ نقيًّا، سليمًا، إلهيًّا، عندما يتوافق مع إحساسِ **الله**.[ص ٨٧].

ليُنقِّنا هو من كلِّ خطيئة، ومن كلِّ هوى، ومن كلِّ موت.

وليُحرِّرنا من **كلِّ شيطان**، لكي نستطيع أن نكون حقًّا صورًا حيّةً **لله**، ولكي يستطيعَ الإنسانُ أن يكونَ على الأرض مجدًا إلهيًّا.

أيّها الإنسان! أيّها الأخ!

لا تنسَ أبدًا أنّك إلهٌ صغير في الطين!

في طينِ جسدِك تحملُ الصورةَ الحيّةَ **لله.**

انتبه كيف تحيا.

انتبه ماذا تفعلُ بصورةِ **الله** الكامنة في داخلك.

انتبه، – أيّها الإنسان! أيّها الإنسان! أيّها الإنسان!

لأنّ حياتَنا تبدأ من الأرض وتنتهي عند الوجهِ الإلهيِّ الكلّيّ النور، لكي نُعطي هناك حسابًا عمّا فعلناه بصورةِ **الله** ما دمنا في هذا العالم.

أتمنّى أن يهبَ **الرَّبُّ** الصالح قلبَ كلِّ واحدٍ منّا **جميعَ المواهبِ السماويّة، وجميعَ الفضائلِ الإنجيليّة: الإيمانَ، والمحبّةَ، والرجاءَ، والصلاةَ، والصومَ، والصبرَ، والوداعةَ، والتواضع**، لكي نستطيعَ أن نحتملَ هذا الجهادَ الأرضيَّ الرهيب كلَّه، وأن نحفظَ في نفوسِنا الصورةَ الإلهيّة، وأن نُنتقَلَ من هذا العالم إلى **الرَّبِّ** القائم، إلى ذاك العالم.

أمّا إلى ذلك الحين، فلْتُرشِدْنا **الصومُ المقدّس إلى الفصح المقدّس**، إلى قيامةِ **المسيح** المقدّسة، لكي نسجدَ، ما دمنا بعدُ في الجسد، له، **للرَّبِّ** القائم، غالبِ **الخطيئةِ والموتِ والشيطان**، ذاك الذي أمَّن الحياةَ الأبديّة لجسدِنا ولنفسِنا.

وله، له وحده فقط، وله وحده حصرًا، تليق الدُّهورُ المجدُ والكرامة، الآن وكلَّ أوان، وإلى دهورِ الدهور. آمين.

تلخيص روحي لعظة أحد الأرثوذكسيَّة بحسب القديس يوستينوس بوبوفيتش

تُعلن الكنيسة في أحد الأرثوذكسية انتصار الحقّ الإلهي، لا كفكرة أو مذهب، بل كحياةٍ مُعاشة في شخص **يسوع المسيح**، الحقّ الكامل المتجسّد. فالأرثوذكسية ليست فلسفة ولا ثقافة، بل شركة حيّة مع **الله** الذي صار إنسانًا لكي يُعيد إلى الإنسان صورته الإلهيّة التي **شوّهتها الخطيئة.**

إنّ **المسيح**، بكونه الصورة الحيّة **لله**، كشف للإنسان مَن هو، وكيف يجب أن يحيا، وكيف يموت من أجل الحقّ، وكيف يحيا به حياةً أبديّة. وفي **حفظ الكنيسة للأيقونة**، حُفِظَ الإنسان نفسه، لأنّ معركة الإيمان هي في جوهرها معركة على صورة **الله** في **الإنسان**.

وتُظهر العظة أنّ **أوّل محاربٍ للأيقونة هو الخطيئة**، لأنّها **ترفض** حضور **الله** في الإنسان وفي العالم. **ومع الخطيئة، التي هي أداةُ الشيطان**، يعمل إبليس على طمس الصورة الإلهيّة بالأهواء والموت. أمّا طريق الشفاء فهو التوبة والجهاد والاعتراف، حيث تُنقّى الصورة وتُستعاد بنعمة **المسيح**.

ويشرح **القديس يوستينوس** أنّ الإنسان خُلق على صورة **الله**: له عقل هو صورة عقل الله، وإرادة هي صورة إرادة الله، وقلب وإحساس هما صورة الإحساس الإلهي، وحياة هي صورة حياة الله، وخلود هو صورة خلود الله. وعندما تتوافق هذه كلّها مع أصلها الإلهي، يصير الإنسان صحيحًا، كاملًا، ومستنيرًا.

وتبلغ العظة ذروتها بنداءٍ رعويّ قوي:

«أيّها الإنسان، لا تنسَ أنّك إله صغير في الطين»، أي مدعوّ إلى التألّه بالنعمة رغم ضعف الجسد، ومسؤول عن الصورة الإلهيّة المودَعة فيه، لأنّه سيُعطي حسابًا عمّا صنع بها.

وتختم العظة بصلاة صوميّة – فصحيّة، تطلب من **الرَّبِّ** أن يُنقّي الإنسان من الخطيئة، ويُحرّره من الشرّ، ليصير صورة حيّة **لله** ومجدًا إلهيًّا على الأرض، ويقوده الصوم المقدّس إلى الفصح، إلى قيامة **المسيح**، حيث تُعلَن الغلبة النهائيّة على **الخطيئة والموت والشيطان**، ويُقدَّم المجد والكرامة **للرَّبِّ** القائم إلى دُهور الدهور.

التوبة والانسحاق

للقديس يوحنا الذهبي الفم

وأنَّ اللهَ سريعٌ للخلاص وبطيءٌ للعقاب. ويَرِدُ أيضًا ذِكرُ قصّةِ راحابَ العجيبة.

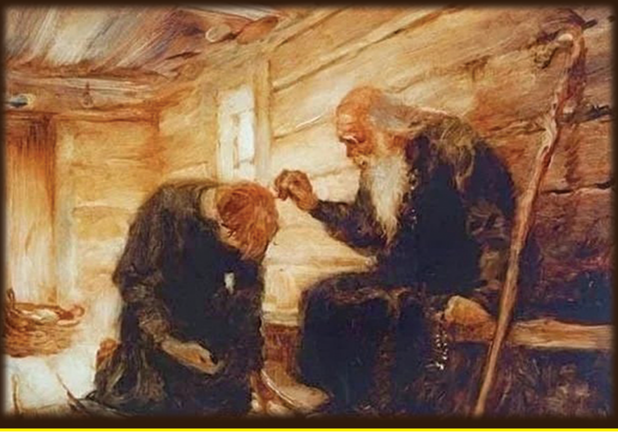

إِنَّ الرَّسولَ الإلهيَّ، في كُلِّ حينٍ، يَستعملُ لُغةً إلهيَّةً سماويَّة، ويَنسُجُ الكلمةَ الإنجيليَّةَ بِحِكمةٍ عظيمة؛ فهو لا يَعرِضُ مجرَّدَ رأيِه الخاصّ،بل يُعلِنُ الحقائقَ بسلطانٍ مَلَكيّ، لا من ذاته، بل من **المسيح** الملك الذي أرسله. ويَستعملُ هذه الحِكمةَ على نحوٍ فريدٍ وخاصّ، حين يُخاطِبُ الَّذين يُخطِئون داعيًا إيَّاهُم إلى **التوبة**؛ وهذا بالذاتِ هو الموضوعُ الجليلُ الذي أُريدُ أن أُذكِّرَكم به الآن.

فلنُصغِ إذًا، لكي أتكلّم قليلًا ممّا قيل، كيف إنَّ ذلك الرجلَ الشجاعَ والعجيبَ، حين كان يُخاطِبُ الكورنثيّين في آخر الأمر، قال: «لعلّي، إ إِذَا جِئْتُ أَيْضًا وَأَنُوحُ عَلَى كَثِيرِينَ مِنَ الَّذِينَ أَخْطَأُوا مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَتُوبُوا » (٢ كو١٢:٢١).

كان هذا المعلّمُ العظيمُ إنسانًا من حيثُ الطبيعة، ولكنَّه خادمُ **الله** من حيثُ القصد؛ ولذلك، فكما يستعملُ لغةً سماويّة ويتكلّم كأنَّ أقواله صادرةٌ من السماء، هكذا أيضًا **يُنذِرُ الّذين يُخطِئون**، ويَعِدُ بالمغفرةِ الّذين يتوبون. وعندما أقول هذا، فإنّي لا أنسبُ السلطانَ إلى لغةِ بولس، بل أنسبُ كلَّ شيءٍ إلى نعمةِ **الله**، الذي كان هذا الأخير يقول عنه الآن:«إِذْ أَنْتُمْ تَطْلُبُونَ بُرْهَانَ الْمَسِيحِ الْمُتَكَلِّمِ فِيَّ» (٢ كو ١٣:٣). فهو إذًا يُشيرُ إلى الذين يخطئون بدواءٍ نافع، وإلى توبةٍ تقودُ إلى **الخلاص**. وقد جاء اليوم أيضًا لِيُساندَ القراءةَ الرسوليّةَ سلطانُ الإنجيلِ للمخلّص، مانحًا بغزارةٍ غفرانَ الخطايا.

لأنَّ المخلِّص، حين شفى المفلوج، قال كما سمعتم سابقًا: «يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ الكثيرة» (مرقس٢:٥). فإنَّ غفرانَ الخطايا هو ينبوعُ الخلاص وجائزةُ التوبة؛ لأنَّ التوبةَ هي مستشفى علاجيّ للخطيئة؛ هي عطيةٌ سماويّة، وقوّةٌ عجيبة، ونعمةٌ تغلبُ نتائجَ الشريعة.

ولذلك فهو لا يرفضُ الزاني، ولا يطردُ الفاسق، ولا يمقتُ السكير، ولا يشمئزّ من عابد الأوثان، ولا يُبعِدُ الشتّام، ولا يطردُ المجدِّف، ولا المتكبّر، بل يُحوِّلُهم جميعًا، لأنَّ **التوبةَ** هي بوتقةُ **الخطيئة**.

ينبغي إذًا أن نعرِف أوّلًا قصدَ **الله**، ونحن نُفصِّل هذا الموضوع، لا باستنتاجاتٍ من عندنا، بل بإثباتِ الحقيقة مؤكَّدةً من الأسفارِ الإلهيّةِ نفسها.

إنَّ قصدَ **الله**، الذي يُظهِرُ طولَ أناةٍ تجاهَ الخطأة، هو قصدٌ ذو شِقَّين، وكلاهما موجَّهٌ إلى الخلاص: فهو يبتغي خلاصَ هؤلاء بعد أن يتوبوا، ويَحفَظُ الإحسانَ لنسلِهم الذين سيحيَون حياةً فاضلة.

ولأُعيدَ القول: إنَّ **الله** يَطيلُ أناتَه لكي **يتوب مَن يُخطِئ**، ولكي لا يَحرِمَ خلاصَ أولادِه. لأنَّه، وإن كان مَن يُخطِئُ لا يعتزم أن يتوب، فإنَّه كثيرًا ما يَترأَّفُ على الجِذر لكي يَحفَظَ الثِّمار؛ وكثيرًا ما، كما قلتُ سابقًا، يُغيِّرُ حتّى الجِذرَ نفسه. أمّا إذا سقطَ ذلك الجِذرُ في شرٍّ كامل، فإنَّ **اللهَ** يُؤجِّلُ العقابَ لمَنفعةٍ، منتظرًا خلاصَ الّذين يتوبون. واسمع كيف. كان **تارَحُ**، **أبو إبراهيم**، **عابدًا للأصنام**، ومع ذلك لم يُعاقِبِ **اللهُ** هنا على كُفره، وكان ذلك في محلّه تمامًا. لأنّه لو بادر **الله** فقطعَ الجِذر، فمن أين كان سينبُتُ ذاك **الثمرُ العظيمُ للإيمان؟**

وما الذي هو **أشدُّ شرًّا من عيسو**؟ انتبه، أرجوك، فهنا أيضًا مناسبةٌ لفيلانتروبيّةٍ إلهيَّةٍ φιλανθρωπία θεοῦ أخرى (**فيلانتروبيَّة إلهيَّة تعني محبّة الله العميقة للإنسان التي تنحني لتخلّصه رغم شرّه**). أيُّ شيءٍ أوقحُ من تلك الشرّ؟ أليس زانيًا ودَنِسًا، كما يقول الرسول؟ (عب١٢:١٦). أليس قاتلَ أمّه وأبيه؟ ألم يُقدِم بنيّةٍ على قتل أخيه؟ أما كان مبغوضًا من الله؟

ويؤكِّدُ الكتابُ ذلك قائلًا: «أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ» (رومية ٩:١٣) (١). فإن كان إذًا زانيًا، وقاتلَ أخيه، ودنِسًا، ومبغوضًا، فلماذا لا يُفنى؟ ولماذا لا يُباد؟ ولماذا لا ينالُ فورًا العقابَ المستحقّ؟ لماذا؟ حسنٌ أن نذكر السبب أيضًا.

لو أُبيد، لَفَقَدَ العالَمُ ثمرًا عظيمًا من ثمارِ البرّ، واسمع مَن هو:«عيسو وَلَدَ رعوئيل، ورعوئيل وَلَدَ زارَح، وزارَح وَلَدَ (**يوباب**)» (تك ٣٦).

أترى أيَّ زهرةٍ عظيمةٍ من زهورِ الصبر كانت ستزول، لو أنَّ الله تدخّلَ

فعاقَبَ الجذر؟.

ففي كلِّ الأمورِ إذًا، اقبلْ هذا الفهم. ولذلك **يُظهِرُ اللهُ** طولَ أناةٍ تجاهَ المصريّين، مع أنّهم كانوا مجدِّفين بلا حدود، وذلك من أجل الكنائس التي تزدهر اليوم في مصر، ومن أجل الأديرة، ومن أجل أولئك الذين اختاروا السيرةَ الملائكيّة.

فكما يقول العارفون بالقوانين العامّة، وكما تأمر القوانين الرومانيّة، فإنَّ المرأةَ الحُبلى، إذا سقطت يومًا في جرمٍ **يُعاقَبُ عليه بالموت، لا** تُقتَلُ قبل أن تلدَ ما في أحشائها؛ وكان ذلك **صوابًا تمامًا**، لأنّ الذين شرَعوا القوانينَ على وجهٍ مستقيم لم يرَوا عدلًا أن يُبادَ مع الخاطئةِ البريءُ الذي لم يخطئ. فإن كانت القوانينُ البشريّةُ تُظهِرُ رأفةً تجاهَ الّذين لم يرتكبوا أيَّ خطيئة، أفليس بالأولى، وبوجهٍ أَولى بكثير، أن **يَحفظَ اللهُ** الجذرَ، مُدَّخِرًا نعمةَ التوبةِ للثمار؟

فتأمَّلْ إذًا، أرجوك، نعمةَ التوبةِ أيضًا من أجل الّذين يُخطِئون، لأنَّ منطقَ الفيلانثروبيّةِ الإلهيَّةِ ذاته يَسري عليهم هم أيضًا.(**فيلانتروبيّة إلهيَّة تعني محبّة الله العميقة للإنسان التي تنحني لتخلّصه رغم شرّه**).

فلو سبَقَ العقابُ الإصلاحَ، لَهَلَكَ العالمُ واندثرَ اندثارًا كاملًا؛ ولو كان **اللهُ** سريعًا إلى العقاب، لما اقتنَتِ الكنيسةُ **بولس**، ولما رَبحَت هذا الرجلَ العظيمَ على هذا النحو، وبمثلِ هذه العظمة. لذلك إذًا تغاضى عن تجديفاته، لكي يُظهِرَه لنا تائبًا؛ إنَّ طولَ أناةِ **اللهِ** جعلَ المضطهِدَ كارزًا، وطولَ أناةِ **اللهِ** حوَّلَ الذئبَ إلى راعٍ، وطولَ أناةِ **اللهِ** جعلَ العشّارَ إنجيليًّا، وطولَ أناةِ **اللهِ** رحِمَنا جميعًا، وغيَّرَنا جميعًا، وحوَّلَنا جميعًا.

إن رأيتَ ذاك الذي كان يومًا سِكّيرًا يصوم، وإن رأيتَ الذي كان يومًا مجدِّفًا يصير لاهوتيًّا، وإن رأيتَ ذاك الذي كان قد لوَّث فمَه بأغانٍ فاحشة، فإذا به الآن يُنقّي نفسَه بتراتيل إلهيّة، فتعجَّب من طولِ أناةِ **اللهِ**، ومجِّدِ التوبة؛ وانطلق من هذا التحوّل قائلًا: « هٰذَا هُوَ تَغَيُّرُ يَمِينِ الْعَلِيِّ» (مز٧٦:١١ بحسب الترجمة السبعينية).

فاللهُ صالحٌ تجاهَ الجميع، غير أنّه يُظهِرُ على وجهٍ خاصّ طولَ أناةٍ تجاهَ الّذين يُخطِئون. وإن أردتَ أن تسمع قولًا عجيبًا، عجيبًا من حيث غرابتِه، أمّا من حيث التقوى فهو حقّ، فأصغِ.

يَظهرُ اللهُ صارمًا مع الأبرار في تدبيره، لأنّه يطالبهم بالكمال، أمّا مع الخطأة فيتجلّى صالحًا، سريعًا إلى الفيلانتروبيّة، أي محبّة **الله** الخلاصيّة للإنسان، تلك التي تنحني نحوه لتُقيمه وتخلّصه رغم شرّه؛ فالذي أخطأَ وسقطَ يُقيمُه، ويقول له: «هَلْ يَسْقُطُونَ وَلاَ يَقُومُونَ، أَوْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ وَلاَ يَرْجِعُ؟» (إرميا ٨:٤)، و«لماذا حوَّلَتْ ابنةُ يهوذا الجاهلةُ وجهَها عنّي بوقاحة؟» (إر ٨:٥)، ويقول أيضًا: «ارْجِعُوا إِلَيَّ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ، فَأَرْجِعَ إِلَيْكُمْ» (زكريا ١:٣).

ملحوظة: «لماذا حوَّلَتْ ابنةُ يهوذا الجاهلةُ وجهَها عنّي بوقاحة؟»: اعتمدَ القديسُ يوحنا الذهبيُّ الفم هنا أسلوبَه الوعظيَّ المعروف، إذ جمع المعنى من آياتٍ كتابيّة متعدّدة (راجع: إر ٨:٥؛ إر ٢:٢٧؛ زك ١:٣)، وصاغها في عبارةٍ واحدةٍ مركّزة، لا على سبيل الاقتباس الحرفي، بل لإبراز المعنى الروحي والدعوة إلى التوبة.

وفي موضعٍ آخر أيضًا يؤكِّدُ بالقَسَمِ أنَّ الّذين يتوبون سيخلصون بسبب فيلانتروبيّته (محبة الله نحو البشريَّة). «حَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنِّي لاَ أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ، بَلْ بِأَنْ يَرْجِعَ الشِّرِّيرُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا.» (حز٣٣:١١). أمّا إلى البارّ فيقول: «وَإِذَا رَجَعَ الْبَارُّ عَنْ بِرِّهِ وَعَمِلَ إِثْمًا وَفَعَلَ مِثْلَ كُلِّ الرَّجَاسَاتِ الَّتِي يَفْعَلُهَا الشِّرِّيرُ، أَفَيَحْيَا؟ كُلُّ بِرِّهِ الَّذِي عَمِلَهُ لاَ يُذْكَرُ. فِي خِيَانَتِهِ الَّتِي خَانَهَا وَفِي خَطِيَّتِهِ الَّتِي أَخْطَأَ بِهَا يَمُوتُ.» (حزقيال ١٨:٢٤). يا لها من دقّةٍ مع البارّ! ويا له من سخاءٍ عظيمٍ تجاه الخاطئ!، ما أعظمَ السخاءَ تجاهَ الخاطئ! إنّه يبتكرُ طُرُقًا كثيرةً ومتنوّعة، من دون أن يتغيّر هو، بل وهو يوزّعُ بحِكمةٍ صلاحَه العظيم. واسمع كيف: فالخاطئ، والذي يُصِرّ على خطاياه، إنْ خَوَّفه، يقوده إلى اليأس وحرمانِ الرجاء؛ أمّا البارّ، فإن طوَّبه، أرخى شدّةَ غيرتِه على الفضيلة، ولأنّه قد نال التطويب سلفًا، يجعله فاترًا في اندفاعِه نحو الفضيلة.

لذلك يَرحمُ الخاطئ، أمّا البارّ فيُخيفُه، لأنّه يقول: «اللهُ الْمُمَجَّدُ فِي مَجْلِسِ القديسين. عظيم هو ومرهوب على جميع الذين حوله» (مز ٨٨: ٨)، ويقول أيضًا: «الربُّ صالحٌ للجميع» (مز١٤٤: ٩). «هو مُرهِبٌ»، يقول، «لجميع الّذين يُحيطون به». ومن عسى أن يكون هؤلاء، إن لم يكونوا القدّيسين؟ لأنّ الله، كما يقول داود، «اللهُ الْمُمَجَّدُ» (مز ٨٨: ٨).

إن رآه ساقطًا، يمدّ إليه يدَ الفيلانتروبيّة (محبة الله نحو البشر)؛ وإن رآه قائمًا، يُلقي فيه المخافة. وهذا ثمرةُ العدلِ والدينونةِ العادلةِ لديه. فالبارّ يُثبِّته بالمخافة، أمّا الخاطئُ فيُنهِضه بفيلانتروبيّته (محبة الله نحو البشر).

وهل تريد أن تعرفَ صلاحَه في كلِّ وقتٍ مناسب، كما تعرفُ شدّتَه النافعة والموافِقة لنا؟ فانتبه بدقّة، لكي لا يفوتك عِظَمُ الأمر.

تلك المرأةُ الخاطئة، التي كان مُثبَتًا عليها كلُّ إثمٍ ومعصية، والتي ارتكبت خطايا كثيرة وكانت مُدانة بأفعالٍ آثمةٍ لا تُحصى، إذ عطشت إلى الخلاص الذي تمنحه التوبة، دخلت إلى مأدبةِ القدّيسين؛ وأسمّيها مأدبةَ القدّيسين، لأنَّ قدّوسَ القدّيسين كان حاضرًا هناك.

لأنَّه بينما كان المخلِّصُ في بيتِ **سِمعانَ الفريسيّ**، دخلت تلك المرأةُ الخاطئة، وتمسَّكت بقدَمَيِ المخلِّص، وغسلتْهما بدموعِها، ومسحتهما بشَعرِ رأسِها (متى ٢٦:٦). وحينئذٍ، تلك التي كانت غارقةً في هذا العدد من الخطايا، يُقيمُها **الله** محبّ البشر قائلًا: «قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ» (لو٧:٤٧). وليس من قصدي الآن أن أفحصَ القصّةَ كلَّها، بل أن أذكرَ الشهادةَ فحسب.

فانتبه إذًا إلى غِنى نعمته: «مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ، لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا.» (لو٧:٤٧). فبهذا المقدار من الخطايا نالت المرأةُ الخاطئةُ مغفرةً. أمّا مريمُ أختُ موسى، فمن أجل تذمُّرٍ صغيرٍ تُعاقَبُ بالبرَص (عدد ١٢:١٠).

وللّذين يُخطِئون يقول: «إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ.» (إشعيا ١:١٨)؛ فيُحوِّلُ الظلمةَ إلى نورٍ بتحوّلِ التوبة، ويُبدِّدُ هذا الفيضَ من الشرور بصوتِ صلاحِه. أمّا للّذي يسلكُ في الفضيلة فيقول: «مَنْ قَالَ لأَخِيهِ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ جَهَنَّمَ

النَّارِ» (مت ٥: ٢٢). ففي كلمةٍ واحدة أضافَ هذا المقدارَ من الشدّة، وفي هذا الكمّ من الخطايا يَهبُ نعمتَه بغِنى عظيم.

وانتبهْ أيضًا، أرجوك، إلى أمرٍ آخرَ جديرٍ بالإعجاب: لأنّ الخطايا تُعتبَر ديونًا، فإنّه للخاطئين التائبين يَهبُ حتى رأسَ المال، أمّا من الأبرار فيَطلُبُ حتى الفوائد.

جاءه إنسانٌ كان مديونًا له بمواهبَ كثيرة، وإذ توسّل إليه بتوبةٍ وبكثرةِ تضرّعاتٍ أن يُعفيه من الدينونة، وقال: «يَا سَيِّدُ، تَأَنَّ عَلَيَّ، فَأُوفِيكَ الْجَمِيعَ» (مت ١٨: ٢٦)، لم ينتظرِ **الله المحبُّ للبشر** سدادَ الدَّين، بل حَسِبَ الاعترافَ نفسه وفاءً بالدَّين.

فللمَدينِ بعشرةِ آلافِ وزنةٍ غفرَ له الجميع، بل وغفرَ له رأسَ المال نفسه؛ أمّا من الأبرار فيقول إنّه يطالِبُ حتى بالفوائد: «فَلِمَاذَا لَمْ تُودِعُوا مَالِي عِنْدَ الصَّيَارِفِينَ، حَتَّى إِذَا جِئْتُ أَسْتَوْفِيهِ مَعَ فَوَائِدِهِ؟» (لو ١٩: ٢٣؛ مت ٢٥: ٢٧).

لا أقولُ هذا لأنّ الله يتّخذ موقفًا عدائيًّا تجاهَ الأبرار (إذ لا يوجدُ ما هو أحبُّ إلى اللهِ من البارّ)، بل، كما قلتُ سابقًا، لأنّه يُعزّي الخاطئَ ليُقيمَه من سقوطِه، ويُخيفُ البارَّ ليُثبِّتَه.

فالخطأةُ يغفرُ لهم كثرةَ خطاياهم، على الرغم من موقفهم العدائيّ والمتكبّر تجاهه، أمّا الأبرارُ فيُحاسِبُهم بشدّةٍ عظيمة، إذ يريدُ ألاّ تشوبَ فضيلتَهم أيُّ نقص.

لأنّ ما يكونُه الغنيُّ لهذا العالم، يكونُه البارُّ لله؛ وما يكونُه الفقيرُ لهذا العالم، يكونُه الخاطئُ لله. فلا شيء أفقرُ من الخاطئ، ولا شيء أغنى من البارّ.

ولذلك يقول **بولس** عن الّذين يعيشون بالتقوى والفضيلة: «أَشْكُرُ إِلهِي فِي كُلِّ حِينٍ مِنْ جِهَتِكُمْ عَلَى نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ لَكُمْ فِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ اسْتَغْنَيْتُمْ فِيهِ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ وَكُلِّ عِلْمٍ» (١ كو ١: ٤-٥).

أمّا عن الّذين يسلكون في عدم التقوى، فيقول الطوباويّ إرميا: «أَمَّا أَنَا فَقُلْتُ: إِنَّمَا هُمْ مَسَاكِينُ. قَدْ جَهِلُوا لأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، قَضَاءَ إِلهِهِمْ.» (إر٥:٤). أي: فقرهم الروحي وجهلهم جعلاهم عاجزين عن سماع كلمة الربّ والعمل به.

أترى كيف يُسمّي فقراءَ أولئك الذين ابتعدوا عن التقوى؟ فأولئك الذين يُخطِئون، إذ هم فقراء، يَرحمهم؛ أمّا الذين يسلكون حياةَ الفضيلة، إذ هم أغنياء، فيُطالِبُهم. للأوّلين يَهَبُ بسبب فقرهم، وللآخرين، بسبب غِنى تقواهم، يَستوفي الحساب بدقّةٍ شديدة. وما يفعله في شأن الأبرار والخطأة، يفعله أيضًا في شأن الأغنياء والفقراء؛ وكما أنّه، بدافع محبّته للبشر، يُقيمُ الخاطئَ من سقوطه، ويُخيفُ البارَّ بصرامتِه، وهكذا أيضًا في الأمور الزمنيّة يعمل الله بتدبيره الإلهيّ.

وإن رأى أصحابَ السُّلطة يلمعون بمناصبهم، أي الملوكَ والرؤساءَ وكلَّ من يتألّقون بغِناهم، يخاطبهم بكلامٍ مُرهِب، ويُدخل المخافةَ في السُّلطة لمنفعةٍ وخلاص، قائلًا: «فالآنَ أيّها الملوكُ تعقّلوا، تعلّموا يا جميعَ قضاةِ الأرض؛ اعبدوا الربَّ بخوفٍ، واهتفوا له برعدة» (مز ٢: ١٠). لأنّه «مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ» (١تيموثاوس ٦: ١٥).

حيثما توجدُ سُلطةُ حكمٍ، يَضَعُ مخافةَ ملكوتِه؛ وحيثما يوجدُ تواضُعُ الفقير، يَقدِّمُ دواءَ محبّتِه للبشر. لأنّ الله هو الملكُ العظيم، ملكُ الملوكِ وربُّ أصحابِ السُّلطة؛ وهو نفسه، إذ يُنزِلُ ذاته، يُعلَن بحسب الكتاب المقدّس «أبًا للأيتامِ وقاضيًا للأرامل» (مز ٦٧: ٦)، ملكَ الملوك، وسيّدَ السادة، وَرَبُّ الأَرْبَاب.

أترى غزارةَ فيضِ محبّتِه للبشر؟ أترى كيف تكون المخافةُ نافعةً للأتقياء ولأصحاب السُّلطة؟ فحيث رأى السُّلطةَ كافيةً للعزاء، أضاف المخافةَ لمنفعةٍ وخلاص؛ وحيث رأى اليُتمَ مشلولًا بسبب ضآلته، وفقرَ الأراملَ بسبب ضعفهنّ، أضاف للتعزية محبّتَه للبشر، قائلًا: «أنا أبو الأيتام». إنّه يفعل أمرين معًا: يُظهر محبّتَه للبشر، ويُقوّم السُّلطة بالتأديب. فيُسمّي نفسه أبًا للأيتام، لكي يُعزّي الذين هم في ضيق، ولكي يُخيف الذين يمارسون السُّلطة، فلا يظلموا الأيتامَ والأرامل. فإذ إنّ الموت قد سلب اليتيمَ أباه، وسلب الأرملةَ زوجَها، فإنّ الذين أضرَّ بهم ناموسُ الطبيعة، قد عضدتهم النعمةُ الإلهيّة؛ إذ أقامت للأرملة قاضيًا يحميها، وجعلت لليتيم أبًا يرعاه، لأنّ الله نفسه؛ ملك القدّيسين؛ صار عِوضًا عمّا فقدوه.

وكأنّه يقول: **أيّها الظالم**، إن ظلمتَ الأراملَ فإنّك تُغضِبُ ذاك الذي يعتني بالأرامل؛ وإن ظلمتَ الأيتامَ فإنّك تظلمُ أبناءَ الله. فأنا هو أبو الأيتام وقاضي الأرامل. فمن ذا الذي يجرؤ على هذا القدر من الفجور، فيظلم أبناءَ الله ويُسيء إلى الأرامل اللواتي يتكفّل الله نفسُه بالعناية بهنّ؟

أترى كيف يُقدِّم أدويةَ التقوى لما فيه المنفعة، فيُخيف بعضَ الناس، ويرحم بعضَهم الآخر، من غير أن ينقسم في ذاته، بل إذ يُكيِّف تدبيرَه بحسب حالات البشر واستعداداتهم؟

فلنُقدِّم إذًا، أيّها الإخوة، لأنفسنا التوبةَ كدواءٍ للخلاص؛ بل بالأحرى، لِنقبَل من الله التوبةَ التي تشفينا. فنحن لا نُقدِّمها له، بل هو الذي منحها لنا.

أترى شدّتَه في تنفيذ وصايا الناموس؟ أترى محبّتَه للبشر في زمن النعمة؟ وعندما أتحدّث عن الشدّة التي ظهرت في زمن الناموس، فإنّي لا أُدين حكمَه، بل أُعلن محبّةَ نعمة الإنجيل؛ أي إنّ الناموس كان يُعاقِب بالضرورة الذين يخطئون، أمّا النعمة فبكثيرٍ من طول الأناة تُؤجِّل العقاب، لكي تُتيح الإصلاح والتوبة.

فلنقبَلْ إذًا، أيّها الإخوة، التوبةَ دواءً للخلاص، ولنقبَلْها دواءً يمحو زلّاتِنا. فالتوبةُ ليست تلك التي تُعلَن بالكلام، بل التي تُثبِتها الأفعالُ ذاتُها؛ التوبةُ هي التي تُزيل دَنَسَ الخطيئة من القلب. إذ يقول: «اِغْتَسِلُوا، تَنَقَّوْا، اِنْزِعُوا شُرُورَ أَفْعَالِكُمْ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيَّ» (إش ١: ١٦).

وماذا يقصد بهذا التكرار الذي يبدو زائدًا؟ أليس كان يكفي أن يقول: «انزعوا شروركم من قلوبكم» فيُفهم كلَّ شيء؟ فلماذا أضاف: «مِنْ أَمَامِ عَيْنَيَّ»؟ لأنّ عيونَ الناس ترى على نحوٍ، أمّا عينُ الله فترى على نحوٍ آخر.« فَالإِنْسَانُ يَنْظُرُ إِلَى الْوَجْهِ، أَمَّا الرَّبُّ فَيَنْظُرُ إِلَى

الْقَلْبِ.» (١صم ١٦: ٧). فلا تُزيّفوا التوبةَ بالأعذار والمظاهر، بل أظهِروا ثمارَ التوبة أمام عينيّ، أنا الذي أفحصُ الخفايا وأختبرُ القلوب.

ينبغي لنا إذًا، لكي نتطهّر من خطايانا، أن نُبقي هذه الخطايا أمام أعيننا. فحتى وإن **غفر الله** خطيئتك بدافع محبّته للبشر، أنتَ؛ حرصًا على سلامة نفسك؛ **أبقِ خطيئتك ماثلة أمامك**. لأنّ تذكُّر الخطايا التي ارتُكبت يصير سببًا لتجنّب خطايا أخرى في المستقبل؛ والذي يتألّم بسبب خطاياه السابقة، يُظهِر حكمًا أكثر اتّزانًا وحذرًا تجاه ما هو آتٍ.

ولذلك يقول داود: «خَطِيئَتِي أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ.» (مز ٥٠:٥)، لكي إن أبقى ما ارتُكب ماثلًا أمام عينيه، لا يسقط في ما هو آتٍ.

وأمّا أنّ **الله** يطلب منّا هذه الحالة بعينها، فاسمعه هو نفسه يقول: «أَنَا أَنَا هُوَ الْمَاحِي ذُنُوبَكَ لأَجْلِ نَفْسِي، وَخَطَايَاكَ لاَ أَذْكُرُهَا. ذَكِّرْنِي فَنَتَحَاكَمَ مَعًا. حَدِّثْ لِكَيْ تَتَبَرَّرَ.» (أشعيا ٤٣:٢٥–٢٦).

إنّ **الله** لا ينتظر مرور الزمن بعد التوبة؛ اعترفتَ بخطيئتك، تبرّرتَ، تبتَ، فنلتَ الرحمة. فالزمنُ لا يمحو الخطيئة، بل أسلوبُ التوبة هو الذي يطمسها. قد يمرّ وقتٌ طويل ولا يبلغ الإنسان الخلاص، وقد ينال آخر، في وقتٍ قصير، إذ يعترف بصدق، **يتحرّر من الخطيئة وينال نعمة الخلاص**.

لقد أمضى **الطوباويّ صموئيل** وقتًا طويلًا متوسّلًا من أجل **شاول**، وسهر لياليَ كثيرة طالبًا خلاص ذلك الخاطئ. لكنّ **الله**، إذ ترك الزمن يمضي (لأنّ توبة الخاطئ لم تُساند توسُّل النبي)، قال لنبيّه: «حَتَّى مَتَى تَنُوحُ عَلَى شَاوُلَ، وَأَنَا قَدْ رَفَضْتُهُ؟» (١ صم١٦:١). فعبارة «إلى متى» تُظهِر طولَ الزمان ومثابرة من كان يتوسّل، أمّا **الله** فقد رفض زمنَ توسُّل النبي، لأنّ توبةَ الملك لم تُساند شفاعة البارّ.

أمّا في حالة **الطوباويّ داود**، الذي قبِل توبيخ **النبيّ ناثان** على خطيئته، وبعد التهديد أظهر فورًا توبةً صادقة وقال: «قَدْ أَخْطَأْتُ إلى الرَّبِّ» (٢صم ١٢:١٣)، فإنّ كلمةً واحدة صادقة، قيلت في لحظة، منحت الخلاص كلّه لذلك الذي تاب. أي إنّ الإصلاح لَحِقَ القرارَ في الحال، لأنّ **ناثان** قال له: «وَالرَّبُّ أَيْضًا قَدْ نَقَلَ عَنْكَ خَطِيئَتَكَ». (٢صم ١٢: ١٣).

وانتبهْ، أرجوك، إلى **الله** الذي هو بطيءٌ في العقاب وسريعٌ إلى الخلاص؛ وتأمّل أوّلًا كيف أنّ محبَّ البشر أجرى التوبيخ بعد سنينَ طويلة. فقد أخطأ داود، وحبلت المرأة، ولم يلحق الخطيئةَ أيُّ توبيخ، بل بعد أن وُلد الطفلُ الذي حُبِل به من تلك الخطيئة، حينئذٍ أُرسل طبيبُ الخطيئة.

ولِمَ لم يُصلِحه مباشرةً بعد ارتكاب الخطيئة؟ لأنّه يعلم أنّ نفوسَ الذين يخطئون تكون عمياءَ ساعةَ اقتراف الخطايا، **إذ تكون آذانُ الغارقين في أعماق الخطيئة قد صُمَّت**.

أعني بهذا الكلام ما يلي: إنّ الأبنية عندنا نحن البشر تُشيَّد على مدى سنواتٍ طويلة، فنحتاج إلى زمنٍ طويل لبناء بيتٍ واحد؛ فالبناء يتطلّب وقتًا كثيرًا، أمّا الهدم فيكفيه وقتٌ قليل. أمّا عند **الله** فالأمر يجري على العكس تمامًا: فعندما يبني، يبني سريعًا، وحين يهدم، يهدم ببطء.

إنّ **الله** سريعٌ في البناء وبطيءٌ في الهدم، لأنّ كِلَي الأمرين يليقان **بالله**: فالأوّل يُظهر قوّته، أمّا الثاني فيُظهر صلاحه. فبسبب فيض قوّته يكون سريعًا، وبسبب صلاحه يكون بطيئًا؛ وهذه الكلمات لا تُقال نظريًّا، بل تُبرهَن من خلال الوقائع نفسها.

في ستّة أيّام خلق **الله** السماء والأرض: الجبالَ العظيمة، والسهول، والينابيع، والأنهار، والفردوس، وكلّ هذا التنوّع الذي نراه؛ هذه البحارَ العظيمةَ الفسيحة، والجزر، والبلادَ الساحليّة والداخليّة. هذا العالم كلَّه الذي نراه، مع كلّ جماله، خلقه **الله** في ستّة أيّام. وكذلك خلق في ستّة أيّام الكائنات العاقلة في هذا العالم، وغير العاقلة أيضًا، وكلّ الزينة والنظام الذي نشاهده.

فهذا **الإله** السريع في البناء، حين أراد أن يُهلك مدينة، وُجد – بسبب صلاحه – بطيئًا. أراد أن يُدمِّر أريحا، فقال لإسرائيل: «طوّقوا المدينة سبعة أيّام، وفي اليوم السابع يسقط السور» (يشوع ٦: ٣–٨). أتخلق العالم كلَّه في ستّة أيّام، وتُسقِط مدينةً في سبعة أيّام؟ فما الذي يعوق قدرتك؟ ولماذا لا تُهلكها في لحظة واحدة؟

أليس النبيّ يصرخ مناديًا عنك: «لَيْتَكَ تَشُقُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَتَنْزِلُ، فَتَتَزَعْزَعَ ٱلْجِبَالُ مِنْ حَضْرَتِكَ» (إش ٦٤: ١)؟، فتذوبُ كلُّ قوّةٍ معانِدةٍ كالشمع أمام النار؟. أوَّلًا يقول داود وهو يروي أعمالك: «لا نَخَافُ إِذَا تَزَلْزَلَتِ الأَرْضُ، وَإِذَا ٱنْتَقَلَتِ الْجِبَالُ إِلَى أَعْمَاقِ الْبِحَارِ» (مز ٤٦: ٢–٣)؟

لك القدرة أن تنقل الجبال وتطرحها في البحر، ولا تريد أن تُهلك مدينةً تقاومك، بل تُمهل سبعة أيّام قبل خرابها؟ لماذا؟

ليس لأنّ قدرتي قد ضعفت، يقول، بل لأنّ محبّتي للبشر قد أطالت أناتها. إنّي أُعطي مهلة سبعة أيّام، كما أعطيتُ **نينوى** ثلاثة أيّام؛ لعلّها تقبل كرازة التوبة فتنال الخلاص.

ومن هو ذاك الذي يكرز لهم بالتوبة؟

حاصر الأعداء المدينة (مدينة أريحا)، وطوّق القائدُ الأسوار؛ الخوفُ عظيم، والضجيجُ شديد. فأيَّ طريقٍ للتوبة فتحتَ لهم إذًا؟ أأرسلتَ إليهم نبيًّا؟ أم أرسلتَ مبشِّرًا؟ أم كان في داخلها أحدٌ يدلّهم على ما فيه خلاصهم؟

نعم، يقول، كان في داخلها معلّمٌ للتوبة: تلك **الراحاب العجيبة**، التي خلّصتُها إذ أظهرت توبة. كانت من العجين نفسه، لكنّها إذ لم يكن لها الفكرُ نفسه، لم تشترك في الخطيئة؛ لأنّ التي لم تشارك في عدم الإيمان لم تصر شريكةً في الإثم.

---

(١) – «أَحْبَبْتُكُمْ، قَالَ الرَّبُّ. وَقُلْتُمْ: بِمَ أَحْبَبْتَنَا؟ أَلَيْسَ عِيسُو أَخًا لِيَعْقُوبَ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ، وَجَعَلْتُ جِبَالَهُ خَرَابًا وَمِيرَاثَهُ لِذِئَابِ الْبَرِّيَّةِ؟» (ملاخي ١:٢–٣).

المصدر: يوحنّا الذهبيّ الفم، الأعمال الكاملة، المجلّد ٣٠، العظات التعليميّة – الأخلاقيّة (أ)، منشورات القدّيس غريغوريوس بالاماس، سالونيك، ١٩٨٧.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

أسقف المدن الخمس

سوتوس خوندروبولوس

الفصل التاسع

«لأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ لَكُمْ رَبَوَاتٌ مِنَ الْمُرْشِدِينَ فِي الْمَسِيحِ، لكِنْ لَيْسَ آبَاءٌ كَثِيرُونَ. لأَنِّي أَنَا وَلَدْتُكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ بِالإِنْجِيلِ.» (١ كور ٤: ١٥).

وفي اليوم التالي كتب نكتاريوس رسالة تبرير سريعة، وساعد رئيسة الدير الأمكساني في كتابة تقريرها المفصّل حول تاريخ الدير، على قدر استطاعته. وقد احتوى هذا التقرير على تاريخ دخول كل راهبة وتصييرها، وكان موجّهًا إلى «قداسة متروبوليت أثينا ورئيس المجمع المقدّس، ثيوكليطس».

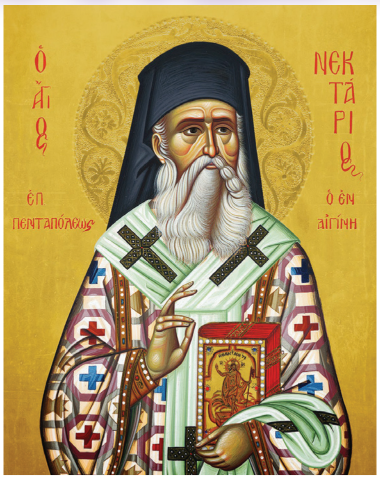

القديس نكتاريوس العجائبي

وهنا نورد مقطعًا من هذا التقرير لما له من فائدة في إلقاء الضوء على نفسية الأمكساني الضريرة، أوّل رئيسة للدير:

«إجابةً لطلبكم، سوف أبدأ بسرد قصّة وصولنا إلى الدير. فعندما كنتُ أقيم في أثينا، ارتبطتُ مع بعض الشابات بعلاقة صداقة مبنيّة على الأفكار المشتركة والرغبة في الحياة الرهبانية.

ولقد تعرّفنا إلى **قدّيس المدن الخمس** الذي عرفناه من خلال مواعظه كمعلّم حقيقي للحياة الروحيَّة. فذهبنا إليه وطلبنا منه أن يقبلنا كتلميذات عنده. وقد كشف لنا الحقائق الإنجيلية بتأثيره، واهدانا إلى الطريق الحقيقي للحياة الروحيَّة.

وَبِنِعْمَةِ الرَّبِّ قَبِلَ طلبنا المتواضع، وصار يستقبلنا بعطف، وكُنّا مجرّد فتيات مسكينات، وحدّد لنا يومًا ثابتًا كنّا نحضر فيه إلى **مدرسة ريزاريو**. وقد درّبنا بمحبة وتفانٍ، وكان يوجّهنا ويقود خطواتنا لكي نسلك طريق الحياة السماويَّة. وبهذا كان قداسته يروي برفق عطشنا إلى المعرفة، لا رغبة قلوبنا. والحقيقة إنّنا كنّا نرغب بالابتعاد عن ضجيج العالم لكي نعبد محبوبنا، **الرب يسوع المسيح**، ولكي نستطيع أن نسكب قلوبنا في الصمت ودون انقطاع...».

وفي تمام العاشر من شهر تشرين الأوّل من العام ١٩١٤، وضع **نكتاريوس** رسالته التبريرية في البريد، وقد كتب فيها:

إلى قداسة متروبوليت أثينا ورئيس المجمع المقدّس ثيوكليطس، مع فائق الاحترام. حمدًا لله على كل شيء.

إجابةً على رسالتكم رقم ١٣٦٣/١٦٦ المؤرّخة في ٣٠ أيلول، أفيدكم علمًا بما يلي:

١- لم يتم تأسيس أي دير جديد في إيجينا، وخصوصًا دون علم قداستكم.

٢- لقد زُرنا بموافقة قداستكم أنقاض دير إيجينا القديم، لكي تسكن فيه بعض الفتيات المسكينات والتقيّات اللواتي رغبن في اعتناق الحياة النسكيَّة. وقد أخذتُ على عاتقي أمر معيشتهن ومصاريف إقامتهن، وأسهمتُ في إعادة بناء هذا الدير بمباركتكم وموافقتكم.

وقد رافقني **المختار، السيد بيباس**، في زيارتي الأولى إلى الدير، وكذلك الأب ثيودوروس، رئيس دير خريسيليونتيّسا، الذي قال لي إنّه سوف يطلب من قداستكم تخصيص جزء من ميزانية ديره لدعم ديرنا. وقد عبّر لي **السيد بيباس** عن رغبته في إعادة تشييد هذا الدير. ولدى عودتي إلى أثينا، اطلعت قداستكم على زيارتي ومحادثاتي، وطلبتُ منكم الإذن مباشرة هذا العمل على نفقتي الخاصة، وآخذ مسؤولية هذه الشابات على عاتقي. وفي هذه الأثناء ذهبت الشابات إلى إيجينا لزيارة الدير، وللاستعلام من **مخفر الدرك** عن إمكانية سكنهن هناك دون خطر.

وعندما اطلعتهن على ردّكم في رسالة ما زالت موجودة حتى اليوم، ولإنعاش ذاكرتكم بهذا الخصوص، أذكّر قداستكم بأنكم اطلعتموني على رغبتكم في أن تُرسلوا إلينا **الأم شياتراكو** مع بناتها اللواتي يعشن حياة رهبانية، وقد رحّبنا بالفكرة وتمنّينا حضورهن.

٣- بين أنقاض الدير كانت هناك **كنيسة باسم سيّدة الينبوع المحيي**، وكانت على وشك الانهيار. فهدمتها بموافقة السيد المختار، وبُنيت على أساسها كنيسة جديدة باسم **الثالوث القدّوس**. وقد احتفلنا بتكريسها بعد الحصول على إذنكم، وبعد أن استلمت الزيت المقدّس من المطرانية المقدّسة. وأقمت الخدمة بالمشاركة مع ممثّل قداستكم وكهنة المدينة الذين دعاهم مندوبكم بناءً على طلبي.

٤- أمّا فيما يختص بالمبتدئات، فقد سألتُ قداستكم إن كان عليّ أن أطلب الإذن بالنسبة إلى كل مبتدئة، فأجابتني قداستكم بأن هذا غير ضروري. ثم طرحتُ هذا السؤال من جديد في رسالة إلى قداستكم عندما أعلمَني تيموثاوس، أسقف كالافريتا وإيغاليا، بأنكم غير موافقين على ان استقبل المبتدئات من دون إذنكم. لكنني لم أستلم أي ردّ على رسالتي فاعتبرتُ صمتكم بمثابة موافقة.

٥- فيما يختص بمساعدات الشمّاسات، فأعلمكم بأنهنّ بالحريّ قندلفتات. إنّ لباسهن هو لباس القارئين في كنائس المدن. وقد أبقينا على الأكمام للأسباب التالية: لا وجود لشمّاس في دير للراهبات، كما أنّه لا وجود لكاهن. ومن جهة أخرى فإنني لا أستطيع أن أهتمّ بنفسي بعملية تنظيف الكنيسة، ولا أن أقوم بوظيفة القندلفت. وأخيرًا فقد كان من الضرورة القصوى إيجاد أشخاص مكرّسين لتنظيف الأواني المقدّسة، وتغيير أغطية المذبح، وحمل سلّة القربان، والقيام بجميع مهام القندلفت في الكنيسة.

لذلك فكّرتُ أنّه من الضروري تكريس راهبتين للتناوب على القيام

بمهام القندلفت. وعند الضرورة القصوى فإنّهما تحملان الإفخارستيا للراهبات في حالة المرض الشديد، في كأس صغير مخصّص لهذا الاستعمال. وما خلا هذه الضرورة الاستثنائيّة، فإنّهما تقومان في جميع الحالات بعمل القندلفت.

٦- أمّا نظام حياة هذه الشركة النسائية، فهو كما سبق وقلتُ لقداستكم، نظام حياة رهبانيّة.

٧- وقد أوكلتُ إدارة الدير بكل بساطة إلى الأقدم عهدًا، لحكمتها وفضيلتها. وهي **كريزنتيا ستروغيلوس الضريرة**، التي أصبحت **الأخت كساني**. إنّها هي التي تدير شؤون الدير، ولها أن يكشف أعضاء الشركة أفكارهم.

٨- وتعود إليّ شخصيًّا المهام الكهنوتيّة والسهر على الناحية الماليّة، وإنهاء تشييد الدير وتوجيهه نحو الهدف الذي تمّ بملء النعمة الإلهيّة العاملة معنا.

وها نحن نوشك على نهاية الأعمال التي باشرناها بموافقتكم يا صاحب السيادة، فنضع مسؤولية هذا الدير وحمايته بين يدي قداستكم لكي تجعلوا منه ديرًا نموذجيًا، وهو الأمر الذي نرغب فيه، والذي سيشرّف أبرشيتكم ويزيدها مجدًا.

٩- تُختصر قاعدة الحياة الجسديّة والروحيّة بهذا: صوم معتدل للجسد، وتوحّد للنفس.

وأمّا فيما يختص بعائدات الدير، فقد طلبتُ من رئيسة الدير أن تكتب لي لائحة مفصّلة بمداخيله ومصاريفه، وتجدونها مرفقة بالرسالة.

† بكل طاعة، **نكتاريوس أسقف المدن الخمس**

يتبع في العدد القادم

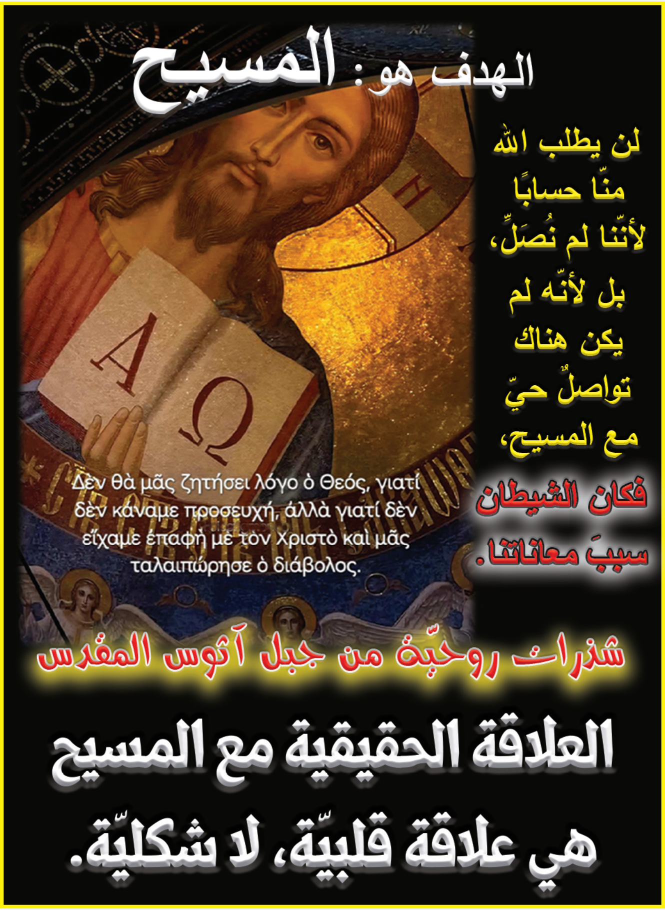

لَن نَقِف أمام الله لنُحاسَب لأننا أهملنا صلواتٍ ما، كما يُحصي الإنسان واجبات، بل لأننا تركنا قلوبنا بلا علاقة حيّة مع المسيح.

فالصلاة لم تُعطَ للتكرار الأجوف، بل لتفتح طريق الشركة.

وعندما تُستبعَد العلاقة، وعندما لا يدخل القلب في تواصلٍ مع المسيح، تخفت النعمة، وتتعرّض النفس للعناء والتعب.

الشيطان لا يخاف الكلمات التي تُقال بصورة آليّة، ولا الحركات التي تُؤدَّى بدافع العادة.

إنّه يخاف التواضع الذي تولّده العلاقة الداخليّة، والبساطة التي تفتح القلب للنور.

وحيث يحضر المسيح ربًّا حيًّا، لا تبقى للطاقة الشيطانيّة المظلمة أيّ موضع .

إهمال العلاقة يولّد الإرهاق، والارتباك، والاضطراب الداخلي.

قد يبدو الإنسان كأنّه يصلّي، لكنّه في داخله يعيش بعيدًا.

عندئذٍ تتحوّل الصلاة إلى عبء، لا إلى روحٍ وحياة، وتغدو واجبًا لا لقاءً.

وهناك تجد التجربةُ والعناءُ أرضًا خصبةً.

الحياة الكنسيّة تدعونا أوّلًا إلى العلاقة، ثمّ إلى الكلام، وإلى الثقة قبل الفعل.

وعندما يسكن المسيح في القلب، تجري الصلاة طبيعيًّا كحاجة حياة، لا كواجب.

وحيث تقوم مثل هذه الشركة، تفقد المعاناة سلطانها، وتجد النفس راحتها.

إنّ الدينونة الحقيقيّة لن تكون: كم مرّة تكلّمنا، بل: مع مَن عشنا.

الصلاة هي لقاء قلب ينبض حبًّا بالمسيح، لا مجرّد علاقة شكليّة.

شعراء المسيحيّة في الجزيرة العربية

لَكَ الحَمْدُ وَالنَّعْمَاءُ وَالْمُلْكُ رَبَّنَا ... فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْكَ مَجْدًا وَأَمْجَدُ
مَلِيكٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيْمِنٌ ... لِعِزَّتِهِ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتَسْجُدُ
عَلَيْهِ حِجَابُ النُّورِ وَالنُّورُ حَوْلَهُ ... وَأَنْهَارُ نُورٍ حَوْلَهُ تَتَوَقَّدُ
فَلَا بَشَرٌ يَسْمُو إِلَيْهِ بِطَرْفِهِ ... وَدُونَ حِجَابِ النُّورِ خَلْقٌ مُؤَيَّدُ

كتب مسيحيّو الجزيرة العربيّة إيمانهم شعرًا، لا ليزيّنوا اللغة، بل ليحوّلوا الكلمة إلى صلاة. وفي زمن الصوم، يأتي هذا الشعر شاهدًا على إيمانٍ عاش التوبة والرهبة والوقوف أمام مجد الله، حيث يعترف الإنسان بمحدوديّته، ويرفع قلبه نحو النور الذي لا يُدرَك إلّا **بالتواضع**.

وتعبّر هذه الأبيات عن تسبيح لله الملك، الجالس على عرش السماء، الذي يفيض مجده نورًا لا يُحتمل، فتخشع أمامه الوجوه وتسجد. وهي تذكّر بأنّ الإنسان، مهما سما، يبقى عاجزًا عن الإحاطة بسرّ الله، فلا يقترب إلّا بخشوع، معترفًا بأنّ الطريق إلى هذا النور يمرّ عبر التوبة والاتضاع، لا عبر **الجرأة** أو **الادّعاء**.

عظة في الأَحد الثاني من الصوم الكبير المقدس

للقدّيس يوستينوس بوبوفيتش

الصومُ هو طريقٌ، بِهِ تسيرُ أنتَ وأنا نحوَ القيامة: قيامةِ الجسدِ وقيامةِ النفس. نعم، أنتَ وأنا. لذلك فالصومُ عجيبٌ، لأنّه طريق. إلى أين؟ **إلى القيامة**.

وماذا يعني هذا؟ يعني:

قيامة – انتصارًا على الموت؛

قيامة – انتصارًا على الخطيئة؛

قيامة – انتصارًا على إبليس.

هذا هو الصوم!

«لِنَتْبَعِ المُخَلِّصَ، الذي أرانا بالصوم الغَلَبَةَ على إبليس، مُخَلِّصَ نفوسنا».(خميس الأسبوع الأوّل من الصوم الكبير، أَبُوستيخا صلاة الغروب).

الصومُ – غَلَبَةٌ على إبليس. ها هي البُشرى الصالحة التي جاءنا بها الرَّب. أتريدُ غَلَبَةً على الخطيئة؟ أتريدُ غَلَبَةً على مُختَرعِ الخطيئة، على إبليس نفسه؟ ها هو الصوم – يقول المُخلِّص.

وجودٌ خالد؛ هذا هو الإنسان!. جاءَ الرَّبُّ إلى عالمنا الأرضي لكي يغلب خطيئتنا، ولكي يمنحنا القوّة والوسائل لنفعل نحن أيضًا الأمر عينه، أنْ نفعلَ الأمر نفسه معه، منقادين به، وسائرين وراءه.

ما هي **الانتصاراتُ البشريّة؟ لا شيء.** فجميعُ الانتصاراتِ البشريّة، إن لم تَهزِم الموت، **فهي مهزومة.** ما قيمةُ كلّ تلك الانتصارات التي حقّقها ويُحقّقها كثيرون من ملوك هذا العالم وأقويائه؟ **وما هي الحروبُ الأوروبيّة: الأولى، والثانية، والثالثة، والعاشرة، والخمسون؟ ما هي؟ إنّها هزائم، هزيمةٌ تلوَ هزيمة.** ليست انتصارات. لقد صار البشر يقتلون، واخترعوا الحربَ والقتلَ كوسيلةٍ ليتغلّبوا على الشرّ في هذا العالم. (**ملحوظة: كلّ «نصر» لا يقهر الموت يبقى وهمًا.فالإنسان ينتصر أرضيًا، ثمّ يموت... إذًا هو مهزوم في الجوهر).**

الله وحده، وقوّة الله وحدها، قادران أن يغلبا الشرّ في هذا العالم. الله وحده، وقوّة الله وحدها، قادران أن يغلبا صانع **كلّ شرّ وكلّ خطيئة، أي إبليس.** وقد منح الله هذه القُوى الإلهيّة لكلّ واحدٍ منّا،

لكنّ الرَّبَّ جَاءَ إِلَىٰ هٰذَا ٱلْعَالَمِ لِهٰذَا ٱلسَّبَبِ عَيْنِهِ: ليعطينا النور، ليعطينا الشعلة المشتعلة، ليعطينا الأضواء، لكي نطرد ذلك الظلام. **ها هو الصومُ المقدّس!** إنّه كشافٌ عظيم يقف على طريق حياتنا. **فالصوم** يُنزل من السماء إلى نفسك النورَ السماوي – إن كان صومًا حقيقيًّا حقًّا. أمّا **الصوم الحقيقي** فهو ضبطُ النفس عن كلّ شرّ: ضبطٌ في الطعام، وضبطٌ أيضًا عن كلّ شرّ وكلّ خطيئة.لكي نغلب نحن أيضًا الشرّ، ككائناتٍ بشريّة عاقلة، ككائناتٍ عاقلة **لله**؛ وأن **نغلب إبليس بقوّة الله.**

ها هو الصومُ المقدّس، وها هي الصلاةُ المقدّسة. فما هما؟ إنّهما القُوى الإلهيّة التي تركها **ٱلرَّبُّ** وأعطاها لكنيسته، لكي نغلب نحن، كلّ واحدٍ منّا، **إبليس**، فنُنقِش في ذواتنا نحن النصر، ونغلب لأجل أنفسنا. نغلب **الخطيئة** لا من أجل غيرنا، بل من أجل ذواتنا. لأنّك، اعلم، كلّ خطيئةٍ لك هي **جنديّ لإبليس.** وكلّ خطيئةٍ تحبّها وتحتفظ بها فيداخلك – علنًا أو سرًّا، الأمر سيّان – هي **رمحُ إبليس**، سلاحٌ مخيف لا يُقهَر. وهو لا يُقهَر ما دمتَ لا تنسحب منها، وما دمت لا تشعر أنّ الخطيئة التي تفعلها تقتلك في الحقيقة، وتجعلك تنتحر روحيًّا، أيًّا كانت تلك الخطيئة. **فالحقد، مثلًا، يجعلك تنتحر. والغضب، وقساوة القلب، ومحبة المال – كلّها أسلحة، أسلحة رهيبة لإبليس، يضعها في يديك، فتقتل بها نفسك.**

إنّ **إبليس** لا يستطيع أن يُجبِر أحدًا منّا على أن يخطئ. كلّ ما يستطيع فعله هو أن **يَعرِض الخطيئة**. يستطيع أن يقدّم لك السيف لتقتل به نفسك، أمّا هو فلا يقدر أن يقتلك، لأنّ الله لا يمنحه هذه القوّة. ولكن إن قبلتَ منه السيف، إن قبلتَ مثلًا **محبّة المال، أو الغضب، أو الغيرة، أو المكر، أو النميمة، أو السرقة** – ها أنتَ إذًا قد أخذتَ السيف بيديك وطعنته في قلبك. فإبليس ليست له سلطة أن يُجبِر الإنسان على الخطيئة؛ **له فقط سلطة أن يَعرِض الخطيئة على**

الإنسان. وهو يَعرض الخطيئة عليك وعليّ. وأنا وأنتَ، ماذا نفعل؟ أنا وأنتَ إمّا نقبل الخطيئة أو نطردها. وهذا يعني إمّا أن نقتل أنفسنا، **فننفصل نفوسنا** عن الله، وإمّا – بطرد الخطيئة – أن نسير مسرعين نحو **قيامة الربّ يسوع المسيح**، نحو النصر، النصر الحاسم والكامل **على الخطيئة، وعلى الموت، وعلى إبليس.**

لذلك، أيّها الإخوة، جاءَ الرَّبُّ إلى هذا العالم. ولذلك ترك لنا كلّ شيء. ولذلك ترك لنا الصومَ المقدّس. ولذلك ترك لنا الصلاةَ المقدّسة، لكي **نغلب إبليس، صانع الخطيئة والموت.** فما الذي تفعله كلّ خطيئة بي وبك؟ إنّها تُظلِمُنا. **فالخطيئة ظلمة.** تُخرِج من داخلها ظلامًا، فيجتاح الظلامُ نفسَك ونفسي، ويغمر ضميرَنا، ويغمر حواسَّنا. فنصير كأنّنا في هذيانٍ، في اضطرابٍ، في عمى ليليّ، في ظلمة؛ لا نعرف ماذا نفعل. هذا هو فعل الخطيئة. **فكلّ خطيئةٍ هي للنفس دوارٌ واضطراب.**

ماذا تفعل الصلاة بك؟ إنّها ترفعك إلى السماء، وحينئذٍ تُنزل من السماء إلى نفسك النورَ الإلهي. مَن نحن؟ ماذا نحن؟ إلى أين نسير؟ إلى أين تقودنا أيّامنا ولياليُنا؟ إلى أين نركض؟ سواء أردتَ أم لم تُرِد، وسواء أردتُ أم لم أُرِد، لا نستطيع أن نُوقِف اليوم عن الانسياب. إنّه يحملنا، يحملنا... إلى أين؟

ها هو الصومُ المقدّس أمامنا، ونحن نعلم أنّ هذا الطريقَ المقدّس يقود **إلى قيامة الربّ يسوع المسيح.** هوذا نورٌ فوق كلّ نور! **لأنَّ الرَّبَّ** بقيامته أنار جميع العوالم بنوره الإلهي: أنار الخليقة كلّها، أنار جميع الكائنات، أنار البشر، أنار نفوسنا، أنار النجوم، والسماوات، والطيور، والنباتات، والحيوانات. جميع العوالم أنارها. وَبِقِيَامَتِهِ ماذا أظهر؟ بقيامته **أظهَرَ الرَّبُّ** السرّ الأخير والنهائي لوجودنا، وأظهر ما ينبغي على كلّ واحدٍ منّا أن يعرفه وأن يفعله. هذا وحده هو الذي يبقى لنا؛ أمّا كلّ ما عداه **فيسرقه الموت ويغتصبه** منّا، كلّه. أمّا هذا، **فالربّ** يقدّمه للجميع.

كلّ خطيئةٍ هي إظلامٌ للنفس، أمّا كلّ فضيلةٍ فهي تحوّلٌ وتجلٍّ للنفس.

الكبرياء – هذا رعب!

وقساوة القلب – إن عشّشت في نفسي وفي نفسك، آه! إنّها تشبه أعمق ظلمةٍ يتكلّم عنها المخلّص في إنجيله المقدّس. **إنها جحيم!**

قساوة القلب، والاعتداد بالذات، وحبّ الذات – اعلم، أيّها الأخ وأيّتها الأخت، أنّ كلّ هذه هي جحيمك الصغير. أنت تحمل الجحيم في داخلك.

لَقَدْ **أَعْطَانَا الرَّبُّ** الدَّوَاءَ. فالدواء ضدّ الكبرياء هو التواضع. أَذِلَّ نفسك **أمام الربّ**، وأَذِلَّ نفسك أمام الإخوة، وها هي القوّة الإلهيّة للتواضع تمتدّ فوق نفسك، فتغمرها بالنور الإلهي، وتطرد وتُبعِد كلّ ظلمة الكبرياء، والقساوة، والاعتداد بالذات التي في نفسك.

الإنسان المُحبّ للمال لا يرى شيئًا غير كومةٍ من الأموال. وليس مُحبّ المال فقط ذاك الذي يحبّ النقود والممتلكات. فمُحبّ المال هو أيضًا، على سبيل المثال، **العالِم** الذي يبقى منكبًّا على كتابٍ واحد طوال حياته، وجد فيه شغله **ونسي الله. هذه هي محبّة المال؛ هذا هو وثنٌ زائف، هذا هو إلهٌ كاذب.** فكلّ ما يضعه الإنسان في هذا العالم غايةً لحياته، وإلهًا بدل الإله الحقيقي، هو **محبّة مال.** أن يضع الإنسان أيّ شيءٍ آخر **مكان** الإله الحقيقي – فهذا هو **محبّة مال.** ونحن نرى هذا.

الخطيئة! إنّها إظلامُ النفس وضميرنا.

أمّا الفضيلة! فهي تَجَلّي النفس وتحوُّلها.

الصوم هو تحوّلٌ تدريجيّ للنفس. فبالصوم تتنقّى النفس من كلّ دَنَس، وتتطهّر من كلّ خطيئة، وتتخلّص من كلّ هوى. والصوم، حين يُمارَس مع الصلاة وسائر الجهادات، يقتلع بفاعليّة، يقتلع من النفس كلّ عناصر الشرّ، وكلّ العادات الرديئة. إن كنتَ قبل الصوم تسمح لنفسك أن ينطق لسانك بكلامٍ أحمق أو كذب، فالصوم لأجل هذا هو هنا: لكي يتحوّل لسانك، ولكي تضع حكمةً وضبطًا على لسانك. وافعل الأمر نفسه مع عينيك، ومع أذنيك، ومع كيانك كلّه. **أوقِف الخطيئة!** هذا هو الصوم. هذا هو الصوم الحقيقي. إن كنتَ تفتري، فلا تفترِ بعد. وإن كنتَ تسرق، فلا تسرق بعد. وإن كنتَ قد تشاجرتَ، فسارِع إلى المصالحة ما دمتَ في الحياة، لئلّا يفاجئك الموت هذه الليلة وأنتَ ما زلتَ متخاصمًا مع جيرانك. ويلٌ لك! فهذه الخصومة هي لك حبلٌ، حبلٌ يجرّك مباشرةً إلى مملكة الخصام، والخطيئة، وإبليس، أي إلى الجحيم. ليهبني الرَّبّ الصالح كلّ الوسائل، لكي أطرد **كلّ خطيئة** من نفسي.

الحسد. ما هو الحسد؟ الحسد هو هوى عظيم إلى حدّ أنّه خان حتى الله، المسيح نفسه. فاليهود، بدافع الحسد، خانوا **الرَّبّ يسوع المسيح؛ بدافع الحسد!** فلا تقل إنّ هذه خطيئة صغيرة. إبليس نفسه خدع آدم وحواء **بدافع الحسد؛** حسد خليقَتَي الله، الصورتين الإلهيّتين، أوّل رجل وأوّل امرأة، **وبالحسد أسقطهما في الخطيئة،** وأوحى إليهما بتلك الخطيئة المروّعة. اليوم أحسد، وغدًا أحسد، وهكذا يتجذّر الحسد في داخلي. لكن اعلم أنّ قاتلك قد بقي في داخلك، وأنّ جحيمك قد بقي في داخلك، وأنّ إبليسك قد بقي في داخلك بالحسد. لأنّ الخطيئة لا تأتي وحدها أبدًا. **فالربّ** يقول إنّه خلف كلّ خطيئة **يتبع إبليس.** وحين تسمح لأيّ خطيئة أن تسكن في نفسك، وحين ترتكب أيّ خطيئة، فاعلم أنّ إبليس قد دخل إلى نفسك. لستَ وحدك؛ هو يقودك. إلى أين؟ **إلى الموت، إلى الموت.** إلى أين؟ **إلى الجحيم، إلى العذابات الأبديّة.**

الصوم، الصومُ المقدّس؛ والصلاة، الصلاةُ المقدّسة –كلّ هذا يقود إلى القيامة، إلى الغلبة **على الخطيئة، وعلى إبليس، وعلى الموت.**

ونحن اليوم، في هذا الأحد الثاني من الصوم المقدّس، نعيّد لأحد العظماء المنتصرين. **نعيّد للقدّيس غريغوريوس بالاماس، رئيس أساقفة تسالونيكي، الناسك العظيم لله،** والمدافع الكبير عن الأرثوذكسيّة وعن نور المسيح. فهو الذي، طوال حياته، كان يتبع مخلّصنا بالصوم، وبالصلاة، وبسائر الفضائل، وكان يغلب جميع الشياطين، وجميع الخطايا، وجميع أهواء هذا العالم، وكان يُنير كلّ النفوس التي كانت حوله. وهو اليوم حيٌّ بيننا من خلال مؤلّفاته المقدّسة.

يتبع في صفحة ١٥

١٩ – إكتشاف كنيسة، قديمة أثرية – في جزيرة كريت (تُظهر موهبة الاستنارة للقديس پورفيريوس)

يشهد **الأب أبوسطولوس**، الذي كان على مدى سنواتٍ طويلة على معرفةٍ وثيقة **بالزوجين يوحنا وفوتيني خريستودولاكيس** في **لوترا إيديبسو، جزيرة إيڤيا**، وقد نشأت بينهم صداقةٌ خاصّة، فيقول:

«قصَّ عليّ **السيّد يوحنا** ما يلي: كانت لديَّ **ساحةٌ لبيع موادّ البناء في أثينا**، **فزار القدّيس پورفيريوس** الساحة ليشتري بعض المواد. ومن دون أن أقول له شيئًا، أخذ **القدّيس** يحدّثني عن أمورٍ شخصيّة تخصّني. كلّمني عن مسقط رأسي، **جزيرة كريت**، وعن قريتي، وقال لي تحديدًا إنّه عند مدخل القرية توجد **كنيسةٌ للقدّيس خارالامبوس**.

وعندما نزلتُ إلى **كريت**، سألتُ **كبار السنّ**، لكن لم يكن أحدٌ يعلم بوجود كنيسة عند مدخل القرية. ومهما سألتُ، كانت الإجابة دائمًا **بالنفي**. وهو ما يؤكّد أنّ الكنيسة قديمة العهد، إذ لم يكن لدى الشيوخ والمسنّين أيّ علمٍ بوجودها. غير أنّه بعد سنتين أو ثلاث، قامت دائرة الآثار بإظهار كنيسةٍ قديمة إلى العلن، وتوصّل علماء الآثار إلى الاستنتاج **بأنّ الكنيسة تعود للقدّيس خارالامبوس**. كما عُثر هناك على **أيقوناتٍ قديمة للقدّيس خارالامبوس**.

ويتابع الشاهد: لم يكن **السيّد يوحنا** يعيش حياةً روحيّة، في حين أنّ **السيّدة فوتيني** كانت مواظبة على الكنيسة، صائمة، وتعيش حياةً أكثر روحانيّة. ولم يكن للزوجين أولاد، فبدآ، وعلى صعيد حياتهما الشخصيّة، بزيارة **القدّيس** في **المركز الطبّي (البوليكلينيك) المعروف باسم القدّيس جيراسيموس في أثينا**، لمتابعة العلاج بسبب عدم الإنجاب، وكانا في الوقت نفسه يعترفان معًا طلبًا للتقدّم الروحي.

وعندما كانا يسألانه إن كانا سيُرزقان بطفل، كان **القدّيس** يلتزم الصمت. وكذلك كان يفعل عندما كانا يطلبان بركته ليقوما بتبنّي طفل. **وقد رقدا في النهاية** دون أن يُرزقا بأولاد.

٢٠ – الهالةُ النورانيَّة – شهادةُ السيِّدةِ ڤايا

كنّا متزوّجين منذ أربعٍ إلى خمسِ سنوات، ولم نُرزَق خلالها بأطفال. ومع استمرار حالة **العُقم المستعصية**، بدأت هذه التجربة تؤثّر تدريجيًّا في حالتنا النفسيّة، فدخل التوتّر شيئًا فشيئًا إلى حياتنا وبيتنا.

بدأنا نراجع الأطبّاء ونُجري فحوصاتٍ مختلفة، نحن الاثنان معًا، ولكن من دون أيّ نتيجة.

كان **زوجي خريستوس** سائقَ شاحنة، وكان يغيب طوال النهار بسبب الرحلات التي يقوم بها.

أمّا حماتي فكانت قريبةً جدًّا من الكنيسة، امرأةً متديّنة، وكانت على معرفةٍ بالأديرة وبالآباء الروحيّين.

وبعد تشجيع من حماتي، نحو عام ١٩٨٤ أو ١٩٨٥ تقريبًا، قرّرنا أن نذهب إلى ميليسي؛ حيث كنّا سنقابل **شيخًا يُدعى پورفيريوس**، الذي؛ كما كانت تخبرنا؛ قد ساعد كثيرين ممّن يعانون من **مشكلات صعبة**.

وفي الدير، بعد أن انتظرنا دورنا، استقبلنا في لحظةٍ ما داخل غرفةٍ كان **الشيخ** فيها مستلقيًا على سريره. دخل **خريستوس** أوّلًا، ثم تبعته أنا، وكنتُ متضايقة بسبب الوقت الذي نضيّعه في مثل هذه الزيارات التي بلا معنى. ولولا إلحاح حماتي لما كنتُ قد ذهبت.

– أهلًا بخريستوس، قال **الشيخ**.

– يا **شيخ**، هذه زوجتي، وهي عصبيّة جدًّا.

– ولِمَ أنت، ألستَ كذلك؟ قال وضحك.

بدأتُ أحدّثه عن عُقرنا وعن المعاناة مع الأطبّاء. فقال **الشيخ بورفيريوس**: «لستم أهلًا لتربية أطفال، ولذلك لم يُعطَ لكم.»

غادرنا المكان، وكنتُ أنا أفكّر باستمرار في تلك الكلمات الأخيرة التي قالها. **لماذا لسنا أهلًا؟** كما كنّا نتساءل أيضًا كيف كان يعرف اسم زوجي. كان هناك شيءٌ ما يجذبنا لأن نراه من جديد، وهكذا، بعد وقتٍ قصير، عدنا إليه مرّةً أخرى، ولكن هذه المرّة بإرادتنا. وفي هذه الزيارة الثانية، كان في الغرفة أيضًا طبيبه، وكذلك طفلٌ صغير.

كان **الشيخ** جالسًا على كرسيٍّ منخفض أو على مقعدٍ صغير، وكان منحنيًا قليلًا. وما إن دخلنا حتى رأيتُ أمرًا لم أكن قد رأيته في حياتي من قبل: كان يحيط برأسه **قرصٌ نورانيّ**، شبيهٌ بالهالات التي نراها في الأيقونات المقدّسة.

تحدّث إلينا **الشيخ** قليلًا، وقال إنّه لا ينبغي لنا أن نحزن، لأنّنا سنُرزق بطفلٍ قريبًا. وعندما خرجنا إلى الخارج، قال لي زوجي إنّه كان يرى رأسه مضيئًا، وكأنّ نورًا كان يشعّ من حوله. عندها أدركتُ أنّني لم أكن وحدي التي رأت هذا الأمر الغريب. وبعد هذه الزيارة أيضًا، تغيّرت حياتنا. **بدأنا نُواظب على حضور الكنيسة، ونزور الأديرة، ونصوم، وبوجهٍ عام حاولنا أن نقترب أكثر من الله. وذهب زوجي أيضًا إلى جبل آثوس. فعادت السكينة والطمأنينة إلى بيتنا، وبعد نحو سنة رُزقنا بطفلٍ ذكر.**

يحتفظ **خريستوس** بعدّة أيقوناتٍ للقدّيس بورفيريوس في شاحنته، وعندما يمرّ قريبًا من ميليسي، يُطلق بوق الشاحنة ويعتدل عن مقعده، تعبيرًا عن التحية والتقوى تجاه القدّيس. وفي إحدى الرحلات تعرّض للخطر، إذ إنّ شاحنةً قادمةً من الاتجاه المعاكس وبسرعةٍ كبيرة كانت تتّجه مباشرةً نحوه. فارتعب كثيرًا، وصرخ فورًا: **«بورفيريوس، خلّصني»**. ومن دون أن يدرك كيف، تجاوز الخطر بالشاحنة وابتعد من غير أن يلحق به أيّ أذى على الإطلاق.

الصوم المقدَّس:

يكشف لنا الكتاب المقدّس أنّ الصوم كان منذ البدء وصيّة حياة. فآدم القديم خالف وصيّة الصوم حين مدّ يده إلى الثمرة المحرَّمة، فسقط وهو في الفردوس، وسط الوفرة والنعيم (تك ٣). أمّا آدم الجديد، الربّ يسوع المسيح فبعد معموديّته مباشرةً دخل الصحراء، وصام أربعين يومًا وأربعين ليلة (مت ٤ : ٢)، ليجاهد بالطبيعة البشريّة التي أخذها منّا ما خلا الخطيئة، ويصير لنا مثالًا وقدوة في الجهاد.

آدم القديم سقط في الفردوس من كثرة الخيرات، أمّا المسيح فدخل القفر والبرّيّة مختارًا الفقر والجوع، ليُظهر أنّ النصرة لا تكون بالامتلاء الجسدي، بل بالطاعة والثبات في كلمة الله آدم وحوّاء أطاعا مشورة الحيّة، أمّا المسيح فبقمعه التجارب الثلاث: الجوع، والمجد الباطل، والسلطة؛ فضح فخاخ إبليس وغلبه (مت ٤: ١–١١)

هكذا يُعلّمنا الرَّبّ أنّ الصوم ليس حرمانًا، بل طاعة؛ وليس ضعفًا، بل قوّة؛ وليس كبتًا للجسد، بل تحريرًا للإنسان كلّه. وبالصوم والصلاة يدخل المؤمن في معركة القيامة، فيغلب الخطيئة والموت وإبليس، لا بقوّته الخاصّة، بل بالاشتراك في نصرة آدم الجديد، يسوع المسيح، الذي أعاد للطبيعة البشريّة كرامتها وطريقها إلى الحياة.

لذلك، فالصوم الذي تعلّمه الكنيسة هو عودة من سقوط آدم القديم، ومسيرة مع آدم الجديد نحو القيامة، لنحيا منذ الآن حياة النور والطاعة والحرّيّة في المسيح.

(نور المسيح)

تتمة من صفحة ١٣

وهكذا هو كلّ قدّيس. ما هو كلّ قدّيس؟ لا شيء سوى إنسانٍ يحفظ في هذا العالم، بلا انقطاع وبغيرة، **وصايا المسيح**، إنسانٍ يُتمّم جميع وصايا الله. وبالطبع، فإنّ كلّ فضيلةٍ تُنزِل إلى النفس النورَ الإلهيّ السماوي.

قدّيسو الله هم أولئك الذين، بالفضائل المقدّسة، طردوا من داخلهم كلّ ظلمة الخطيئة، وكلّ كآبة، وكلّ ظلام شيطاني، وكلّ جحيم. ولذلك يُصوَّر كلّ قدّيس على هذا النحو، بحيث يفيض منه نور، ويكون حول رأسه هالة نور. كلّ ما فيه يلمع: أفكار مقدّسة ومضيئة. نورٌ يشعّ من رأسه ومن كلّ كيانه. لقد نقّى جسده ونفسه من الأهواء، ومن الظلمة، ومن الضباب، ولذلك ينسكب منه النور. **هكذا هو القدّيس غريغوريوس اللاهوتي، وهكذا هو القدّيس غريغوريوس بالاماس، وهكذا هو القدّيس باسيليوس الكبير، وهكذا جميع القدّيسين**، من الأوّل إلى الأخير. وكلّ هؤلاء هم هنا، معنا، في كنيسة **المسيح**، مربّونا الأحياء، معاصرونا. فالقدّيسون لا يموتون. نفس الإنسان لا تموت منذ أن قام الرَّبّ. وأجسادنا ستقوم في يوم الدينونة. جميعهم أحياء، معاصرون لنا، يساعدوننا. ونحن جميعًا نكوّن جسدًا واحدًا في المسيح، أي كنيسة **المسيح**، والقدّيسون يساعدوننا ويقودوننا في طرق الفضائل الإنجيليّة.

ها هو هنا **غريغوريوس بالاماس، الناسك العظيم**، ليقودنا إلى قيامة **الرَّبّ يسوع المسيح**، وليقودنا إلى كلّ الغلبات على الخطيئة، وعلى الموت، وعلى إبليس. إنّه يملك القدرة، ويملك القوّة؛ وقد نالها وينالها من الرَّبّ، وهو يوزّعها علينا جميعًا، لكي يمارس كلّ واحدٍ منّا الصوم الحقيقي. فالصوم الحقيقي هو ضبط النفس عن كلّ خطيئة، وعن كلّ هوى، وضبطها في الطعام لكي لا يتكبّر الجسد، ولا تثور الأهواء، بل بالإيمان، ومع حرمان الجسد من الطعام، يُجبِر الإنسان نفسه على العفّة وضبط النفس عن كلّ شرّ.

فلنقدّم نحن، كلّ واحدٍ منّا، نفوسنا مخلَّصة أمام الرَّبّ، ذاك الذي سلّمنا الصوم كنصرة على إبليس، لكي نبلغ بفرحٍ في نفوسنا إلى قيامة **الرَّبّ يسوع المسيح**. فلنقم معه من كلّ موت، ولنغلب غلبة نهائيّة وإلى الأبد كلّ خطيئة في داخلنا، وكلّ هوى، وكلّ شيطان، لكي نستطيع، مع جميع القدّيسين، أن نمجّده على الأرض وفي السماء، هذا الإله **والرَّبّ العجيب الذي لا يُستعاض عنه، يسوع المسيح، المخلّص الوحيد** للبشر في جميع العوالم. آمين.

السُّجودُ لِلصَّليبِ الكَريمِ المُحيي

عظة تستند على أقوال آباء الكنيسة العظام

بقلم قسطنطينوس زاغاناس، لاهوتي

موقع بيمبتوسيًا

تُخصِّص الكنيسة الأرثوذكسيَّة الأحد الثالث من الصوم الكبير للسجود للصليب الكريم المُحيي للمسيح، وتُسمّيه أحد السجود للصليب.

وخلال السنة، تدعونا الكنيسة مرّتين أخريين أيضًا إلى تذكّر الصليب الكريم والسجود له. غير أنّ السجود للصليب في هاتين المناسبتين يرتبط بأحداث تاريخية معيّنة، أمّا في الأحد الثالث من الصوم، فإنّ كنيستنا المقدّسة تريد أن تُعلن دور الصليب في تاريخ خلاصنا، وأن تُهيّئنا للجمعة العظيمة، حين سنراه مرفوعًا على الجلجلة.

إنّ الصليب الكريم للمسيح هو خلاصُنا. فهو بهاء الكنيسة ومنبر اللاهوت الأرثوذكسي. ووفقًا للمرنّم الكنسي نرتّل: «الصليبُ هو حارسُ المسكونة كلّها، الصليبُ هو بهاءُ الكنيسة، الصليبُ هو قوّةُ الملوك، الصليبُ هو سندُ المؤمنين، الصليبُ هو مجدُ الملائكة وجرحُ الشياطين.»

وقد حدّدت الكنيسة أن يُحتفَل بسجود الصليب الكريم المُحيي لربّنا يسوع المسيح في الأحد الثالث من الصوم الكبير، أي في منتصف الصوم المقدّس، لا عن مصادفة. ففي منتصف مرحلة الجهاد النسكي، أي زمن السهر الروحي والنسك والصوم، يأتي سجود الصليب ليشدّدنا في هذا الطريق، فيمنحنا قوّةً وتشجيعًا، ويذكّرنا بأنّنا، إذ نحمل صليب جهادنا، فإنّما نُشبِه ذاك الذي حمل أوّلًا صليب خطايانا، وصار «فديةً عن كثيرين» على الجلجلة. لقد صُلِبَ المسيح ممثّلًا عن البشريّة الخاطئة كلّها، وحمل على كتفيه كلّ ثِقَل خطيئة العالم. إنّ محبّة الله هي التي أقامت يسوع المسيح، ابنه، نائبًا عنّا وممثّلًا لنا، فتألّم هو بما كان ينبغي أن نتألّم به نحن كخطأة. صُلِبَ البارّ الذي بلا خطيئة، وسفك دمه الكريم عوضًا عنّا ولأجلنا. هذه هي جوهر الصليب، سرّ الأسرار، إذ من دون ذبيحة المسيح لا نستطيع أن نُوفّي ثمن خطيئة واحدة. ولو كان الإنسان قادرًا على تحقيق ذلك بقوّته الذاتيّة، لما أتى المسيح ليُصلَب على خشبة الصليب، سافكًا دمه الكريم الطاهر كلّيًا لكي يُطهّر العالم من الخطيئة. إنّ خطايا الإنسان لا تُغفَر إلاّ «بدم الحمل» «المذبوح» (رؤ ١٤:٧؛ ١٣:٨).

ها هو إذًا سرّ الصليب. إنّه أعظم برهان على أنّ الله يحبّ الجنس البشري، «لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.» (يو٣:١٦). فالمسيح على الصليب «يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!» (يو ١ : ٢٩)، وهذا يعني أنّه قد أُبطل للإنسان «جسد الخطيئة» (رو ٨ : ٣)، فلم يعد الإنسان بعدُ يخطئ بالضرورة، بل تصالح مع الله. وهكذا، بصليب المسيح انفتح الباب المغلق لملكوت السماوات، وصار السماء من جديد صديقًا للإنسان. فما خسره الإنسان بعصيان أبوينا الأوّلين، ربحه الآن وبفيض أعظم بطاعة المسيح حتّى الموت، المسيح آدم الجديد. «لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُصَالَحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ!... لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً، هكَذَا أَيْضًا بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَارًا.» (رو ٥: ١٠، ١٩). «فَلَسْتُمْ إِذًا بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلًا، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ» (أفسس ٢:١٩). كما يعلّمنا القدّيس غريغوريوس بالاماس، رئيس أساقفة تسالونيكي: «إنّ صكّ الدَّين الذي كُتِب ضدّنا بعصياننا قد مُزِّق على الصليب. وهكذا تباعدت تمامًا، وهي في خزي، الرئاسات والسلاطين، أرواح الشرّ. أمّا نحن، فمع المسيح، فقد استعدنا الحرّيّة من جديد بظفرٍ وغلبة. تصالحنا مع الصليب، وبالصليب تصالحنا مع المسيح.»

ولكي يُرفَعَ الهوّة العظيمة التي أقامتها الخطيئة بين الله والناس، قدّم ابنُ الله نفسه ذبيحة، لكي يصير الإنسان من جديد وارثًا لملكوت الله. إنّ صليب المسيح هو فخر كنيستنا، والسلاح الذي لا يُقهَر في وجه قوى الشرّ. فعلى صليب ربّنا يسوع المسيح سُحِقَ سلطانُ إبليس، وتلاشت قوّته وانعدمت. من الصليب فاض الفداء والخلود على الجنس البشري، وصار وسيلة تقديس ودرعًا عقليًا يحمي من كلّ شرّ. فغدا سندًا للأبرار ورجاءً للخطأة. إنّ الصليب الكريم للمسيح، إلى جانب كونه رمزًا إلهيًا لكنيستنا، يحمل في الوقت عينه بُعدًا أخلاقيًا لكلّ واحد منّا. فكما حمل الرّبّ صليبه الخاص إلى الجلجلة، مثقلًا بآثام الجنس البشري كلّه،

هكذا يحمل المؤمن بالمسيح صليبه الشخصي، أي جهاده الشخصي من أجل الخلاص والكمال. إنّ المسيحيين، وهم يتأمّلون الصليب ويسجدون له، يتذكّرون آلام المسيح ويستمدّون قوّة ليواصلوا، بروح متجدّدة، صومهم وجهادهم الروحي. وكلّ مؤمن، إذ ينظر بإيمان إلى الصليب الذي صبغه الرَّبّ بدمه الكريم، كما قال هو نفسه، «لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.» (يو٣: ١٥).

إنّ خلاص الإنسان لا يتطلّب نعمة الله وحدها، بل يتطلّب أيضًا إرادته الحرّة. فالشركة بالمسيح، أي الاشتراك في ذبيحته الصليبيّة، تتحقّق **بالمعموديّة، والميرون، وبالتناول من الأسرار الإلهيّة، وبالاعتراف، وبالمشاركة في أسرار الكنيسة المقدّسة**، وبالجهاد من أجل حياة روحيّة، وهو جهاد يُعاش فعليًّا كـ«نزفٍ» للنفس وبذلٍ للدم، بحسب القول: «أعطِ دمًا وخذ روحًا». وبكلمة واحدة، يُفهَم هذا كلّه على أنّه تصالب مع **المسيح**. فالإنسان، إذ يتوب في سرّ الاعتراف، أو ما يُسمّى أيضًا «**معموديّة الدموع**»، يجد القوّة لصدّ الخطيئة، كما يقول **القدّيس نيلوس**: «إنّ التعليم الروحي يبدّد الدخان المتراكم في النفوس بسبب الشرّ».

«مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي، فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ، وَلْيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَتْبَعْنِي» (لو٢٣:٩؛ مت٢٤:١٦؛ مر٨: ٣٤–٣٨). وهكذا، وبحسب هذا المقطع من إنجيل لوقا، وكذلك من إنجيل متّى، وأيضًا من إنجيل مرقس الذي يُتلى في القدّاس الإلهي في أحد السجود للصليب، يعلّمنا **القدّيس نكتاريوس أسقف المدن الخمس** قائلًا: «إنّ مخلّصنا يسوع المسيح يدعو الإنسان إلى اتّباعه، ويتركه حرًّا في أن يقرّر إمّا أن يتبعه أو أن ينحرف عن طريق الله. لقد أتى من أجل خلاص الإنسان، ومع ذلك لا ينتهك حرّيته الذاتيّة. إنّ ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح يدعونا إلى إنكار ذواتنا، وحمل الصليب على أكتافنا، واتباعه. فمَن يريد خلاصه، عليه أن يتعب ويجاهد ليناله، وإلّا حُرِم منه».

ثمّ، بحسب تعليم **القدّيس غريغوريوس بالاماس**، «إنّ شكل الصليب هو الختم المقدّس، الخلاصي والمكرَّم، المُقدِّس والمُتمِّم للخيرات الفائقة للطبيعة والسرّيّة التي أجراها الله في جنس البشر. إنّ الصليب هو قوّة رافعة للّعنة والدينونة، إذ يُبيد الفساد والموت. وهو حامل الحياة الأبديّة والبركة. إنّه الخشبة الخلاصيّة، الصولجان الملكي، والغنيمة الإلهيّة ضدّ الأعداء المنظورين وغير المنظورين، وإن كان أتباع الذهنيّة الجسديّة والهرطقة يضطربون اضطرابًا أحمق حين يسمعون هذه الكلمات».

في سَحَرِ أحد السجود للصليب، وبعد الذكسولوجيا العظمى، يُنقَل الصليب في موكب مهيب ووقور إلى وسط الهيكل المقدّس، فيما يرتّل الكورس: «**لِصَليبِكَ يا سَيِّدُنا نَسجُد، ولِقيامتِكَ المُقدَّسة نُمجِّد**»، ويبقى هناك طوال الأسبوع اللاحق، حيث تُقام في ختام كلّ خدمة كنسيّة سجدة للصليب من قِبَل المؤمنين. وفي جوّ احتفالي ظافر، وبين الأزهار، يبرز اليوم في أحد السجود للصليب، في وسط الهيكل المقدّس، صليب **الرَّبّ** الكريم. وهكذا يُسارع جميع المؤمنين إلى السجود للصليب الواهبِ الحياةِ للمخلِّص، بخشوعٍ عميق وامتنانٍ صادق، على كلّ ما قدّمه لنا إلى اليوم وما يزال يفيض به علينا.

ويُختَتم إنجيلُ هذا اليوم بالقول: «وَقَالَ لَهُمْ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا مَلَكُوتَ اللهِ قَدْ أَتَى بِقُوَّةٍ» (مرقس ٩ :١). **وليس المقصود هنا** المجيءَ الثانيَ المجيدَ **للمسيح** في نهاية التاريخ، بل مجيئه بالقوّة، الذي ابتدأ مع عيد العنصرة، والذي كان شهودَه المسيحيّون الأوائل. وهو أيضًا اقترابُ الملكوت غيرُ المنظور، غيرُ الاستعراضي على الإطلاق، من النفوس المملوءة إيمانًا وحرارة.

يُخبرنا **القديس نكتاريوس** ويُعلّمنا أنَّه «في تدبير خلاص الإنسان تتعاون في آنٍ واحد نعمةُ الله وإرادةُ الإنسان. فنعمةُ الله هي التي تدعو وتُنير عقل الإنسان وقلبه، أمّا إرادةُ الإنسان فتتعاون في انفتاح العيون على النور البهيّ الغامر وفي تطهير القلب. ونتيجةً لذلك، يبدأ خلاصُ الإنسان بالنعمة، ويتشكّل بالإرادة، ويكتمل بالنعمة التي تُتوِّجه وتكافئه. ولذلك يؤكِّد أيضًا أنّه من الضروري أن تكون لدى الإنسان رغبةٌ صادقة في أن يخلُص، لكي يخلُص بنعمة الله».

يُخبرنا **القدّيس يوحنا الذهبي الفم** أنّ «النعمة، وإن كانت نعمة، لا تُخلِّص إلّا الذين يريدون ذلك» (عظة الثامنة عشرة على رسالة رومية). وكذلك، بحسب تعليم **القدّيس غريغوريوس اللاهوتي**، كما يُشير، «لا بدّ من وجود موافقتنا نحن، أمّا الخلاص فهو من الله» (العظة ٣١).

بعد نحو ثلاثمئة سنة من صَلبِ **يسوع المسيح**، عُثِرَ على الصليب الكريم المُحيي لمخلّصنا **يسوع المسيح** على يد **القدّيسة هيلانة، والدة الإمبراطور قسطنطين، إمبراطور الدولة الرُّومية (البيزنطيّة)، الذي صار لاحقًا قدّيسًا في الكنيسة الرُّومية الأرثوذكسيّة**.

تولّت هيلانة، والدة الإمبراطور قسطنطين، بفرح عظيم المهمّة الصعبة التي كلّفها بها ابنُها، وهي العثور على الصليب الكريم **ليسوع المسيح**. وكانت تتوق دائمًا أن تُستحقّ الذهاب إلى الأراضي المقدّسة لتسجد في المواضع التي وُلِد فيها **ربّنا يسوع المسيح**، وعاش، وعمل، وصُلب، وقام من بين الأموات. وكانت هذه المهمّة في غاية الصعوبة، إذ بحسب التقليد كان اليهود قد طمروا التلّ الصغير للجلجثة، حيث كان الصليب الكريم مدفونًا تحته، لكي يمنعوا المسيحيّين من إقامة كنيسة مسيحيّة في ذلك الموضع. غير أنّ **القدّيسة هيلانة** بدّدت تلك المخطّطات، إذ شيّدت في المكان الذي عُثر فيه على الصليب الكريم الكنيسة المقدّسة لقيامة **الرَّبّ**.

لقد أقام **الإمبراطور أدريانوس معبدًا مُكرّسًا للإلهة أفروديت**، بهدف منع المسيحيّين من السجود في الموضع المقدّس. أمّا **القدّيسة هيلانة**، فبحزمٍ ومن دون تردّد، قامت **بهدم المعبد الوثني وإزالته دفعةً واحدة**، ونقّت المكان، ثم عثرت بدقّة على الموضع الذي كان فيه الصليب الكريم **للمسيح**. وبعد ذلك شيّدت في هذا المكان كنيسة قيامة الربّ العظيمة. وسرعان ما انتشر الخبر المفرِح بالعثور على الصليب الكريم **للمسيح** في أرجاء المسكونة كلّها حيث وُجد المسيحيّون، فتقاطر المؤمنون للسجود للخشبة الكريمة، يرسمون إشارة الصليب ويقولون: يا ربُّ ارحم.

في الموضع الذي كان صليبُ **الربّ يسوع المسيح** مدفونًا تحته عميقًا في التراب، كانت تنبت نبتةٌ صغيرة زكيّة الرائحة تُفوح عطرًا، هي «**الريحان**» كما هو معروف، وتُدعى أيضًا «**زهرة الصليب**»، لأنّ أوراقها تتشكّل على هيئة صليب. والأعجب من ذلك أنّهم كانوا يقتلعونها،

فتعود فتنبت مرارًا وتكرارًا. وبعد صلاةٍ حارّة، طلبت القدّيسة هيلانة من الله أن يمنحها علامةً تُظهِر لها أين يوجد صليب المسيح، فاستجاب الله وأعطاها العلامة. إذ حدثت في ذلك الموضع هزّةٌ أرضيّة، وانشقّت الأرض، ومن هذا الشقّ برزت زهرةٌ عطرة على شكل صليب، وهي الريحان. عندئذٍ أصدرت أمرًا للعمّال أن يحفروا في ذلك المكان، فلم يمضِ وقتٌ طويل حتى عُثر على الصلبان الثلاثة: صليب المسيح، وصليبي اللصّين اللذين صُلبا معه. وبالقرب من هناك وُجدت أيضًا كتابةُ بيلاطس البنطي: «يسوع الناصري، ملك اليهود». ولحلّ الحيرة التي نشأت منطقيًا: أيُّ هذه الصلبان الثلاثة هو صليبُ المخلّص يسوع المسيح، تمّ الأمر على هذا النحو العجائبي: فقد كانت قرب موضع العثور على الصلبان امرأةٌ مريضة مرضًا شديدًا، فوضعوا عليها تباعًا الصليبَين الأوّلين دون أن يحدث شيء، ثم فعلوا الأمر نفسه بالصليب الثالث، فإذا بالعجب: شُفيت المرأة المريضة في الحال. عندئذٍ فهمت القدّيسة هيلانة وجميع الحاضرين أنّ هذا هو الصليب الكريم المُحيي لمخلّصنا يسوع المسيح، الابن الوحيد لله!

وفي ذلك الموضع عينه الذي عُثر فيه على الصليب الكريم، شيّدت القدّيسة هيلانة كنيسة قيامة الرَّبّ، كما ذكرنا سابقًا، لتكون موضعَ سجودٍ للمسيحيّين الأتقياء. وبعد ذلك، وبفضل الدعم السخيّ من ابنها الإمبراطور قسطنطين الكبير، أقامت كنيسة ميلاد المسيح في بيت لحم، وكنيسة قيامة الربّ، وكنيسة أخرى على جبل الزيتون. لقد أنجزت الأمّ والابن عملًا عظيمًا بدافع محبّتهما للملك الوحيد للعالم كلّه، يسوع المسيح، الذي لا نهاية لملكوته إلى دهر الدهور، وكذلك من أجل مسيرة المسيحيّة في تاريخ البشريّة منذ ذلك الحين وإلى اليوم، إذ وضعا أسسًا راسخة، وترسيخ الإيمان بالمسيح، وبناء الذهنيّة المسيحيّة (فرونيما) (φρόνημα)، أي توجّه الحياة والفكر بحسب المسيح.

كما أوكلت القدّيسة هيلانة مهمّةً إلى كيرياكوس، اليهوديّ السابق الذي دلَّ على الموضع الدقيق الذي كان فيه الصليب الكريم، وكان اسمه آنذاك يهوذا قبل أن يؤمن بالمسيح ويعتمد مسيحيًّا ويتسمّى كيرياكوس، وذلك حين حدث الزلزال وانشقّت الأرض وظهر صليب الربّ، أن يعثر على المسامير التي بها ثبّت الجلّادون اليدين الطاهرتين والقدمين الطاهرتين للمسيح على خشبة الصليب. وقد أتمّ كيرياكوس هذه المهمّة بنجاح. ثمّ أصبح لاحقًا أسقفًا لأورشليم وقدّيسًا، وتُعيِّد له كنيستنا الأرثوذكسيّة في الثامن والعشرين من تشرين الأوّل من كلّ عام.

كان عام ٣٢٧ سنةً مفصليّة في تاريخ الإمبراطوريّة البيزنطيّة، إذ وصل فيها الصليب الكريم. وقبل أن تغادر القدّيسة هيلانة متوجّهةً إلى القسطنطينيّة، وحسب التقليد، قامت بقطع الصليب عموديًّا، فصار صليبَين أدقّ من حيث السُّمك. فتركت أحدهما في أورشليم، وأخذت الآخر معها إلى القسطنطينيّة. وقبل عودتها إلى العاصمة، توقّفت في جزيرة قبرص حيث أقامت فيها فترة من الزمن، وقامت هناك أيضًا بعملٍ عظيم، إذ؛ كما يذكر مؤرّخو تلك المرحلة؛ «ذهبت إلى جبلٍ للأصنام كان يُدعى أوليمبوس، فكرّسته بالصليب الكريم، ثمّ حوّلته إلى جبل الصليب، فسمّى شعب قبرص هذا الجبل «ستافروفوني» (جبل الصليب أو جبل الصليب أو جبل صليب المعلّق بالله». وهناك شيّدت كنيسةً مقدّسة، وأودعت فيها قطعةً من الخشبة الكريمة مع صليب اللصّ الذي تاب، وجزءًا من أحد المسامير. ثمّ انطلقت بعد ذلك إلى القسطنطينيّة حاملةً معها الكنز الأثمن في المسيحيّة، وهو الصليب الكريم للمسيح.

استقبل الإمبراطور قسطنطين ابنها، مع الأساقفة والكهنة والشمامسة، ومعهم الشعب كلّه، الصليبَ الكريمَ المُحيي لمخلّصنا يسوع المسيح في جوٍّ احتفاليٍّ ظافرٍ وانتصاريّ. ثمّ وضعه الأسقف مكاريوس للسجود، في متناول المسيحيّين الأتقياء، الذين كانوا يسجدون للصليب الكريم بخشوع ودموع في العيون، دموع فرح وشكرٍ للمسيح، في الموضع الذي سُفِكَ فيه دمه الكريم الطاهر بلا دنس، من أجل خلاص البشريّة.

في قراءة الإنجيل ليوم أحد السجود للصليب، وكذلك لأحد ما بعد عيد رفع الصليب الكريم، من إنجيل مرقس (٨: ٣٤–٣٨؛ ٩: ١)، نسمع قول الربّ: «لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟» (مر ٨: ٣٦). وترجمة هاتين الآيتين هي: «لأنّه ماذا ينفع الإنسان أن يربح العالم كلَّه ويخسر نفسه؟ أو أيُّ عِوَضٍ يستطيع الإنسان أن يقدّمه عن نفسه؟».

إذًا، فإنّ «إهلاك» الإنسان نفسَه من أجل المسيح يعني أن ييأس يأسًا صحيًّا من ذاته الساقطة، وأن ينسى الوهم القائل إنّه مكتفٍ بذاته، مستقلّ، ومنير لذاته، وأن يتوقّف عن الإيمان بالخلاص الذاتيّ أو الشفاء الذاتيّ، وأن يدرك أنّه مُستنير من آخر وخاضع لآخر، أي إنّه لا يخلُص إلّا بالطاعة الحرّة والكاملة للمشيئة الإلهيّة. عندئذٍ فقط «يجد الإنسان نفسَه التي كانت ضائعة». وعندئذٍ فقط يعيش قول المزمور: «الربّ يرعاني فلا يعوزني شيء... يردّ نفسي» (مز ٢٢)، كما يشهد ويشرح لنا القدّيس إغناطيوس: «فلا يوجد أيُّ عِوَضٍ يمكنه أن يساوي قيمة ذبيحة المسيح، ولا العالم كلّه، ولذلك يكون صليبُ المسيح أعظمَ فخرٍ لنا. ويصير هذا الفخر أعظمَ مجدًا واعتزازًا بقدر ما نقبل بإرادتنا أن نُصلَب مع المسيح، مصلبين أهواءنا وأنانيّتنا وخطايانا.»

إنّ من أبلغ الأمثلة على التوبة الحقيقيّة وعلى محبّة الله الفائقة للبشر، توبةُ اللصّ على صليبه؛ إذ آمن فنال كنزَ ملكوت السماوات. فالذي يتوب توبةً صادقة تكون له قلبٌ منسحقٌ ومتّضع. العقل والقلب، النفس والجسد، جميعها تُظهِر وتَشهد للتحوّل الحقيقي للإنسان التائب، ولشوقه الملتهب إلى التكفير عن خطاياه أمام الله. «القلب المنسحق والمتواضع لا يرذله الله».

إنّ ارتقاء الإنسان من الخطيئة المتنوّعة الأشكال إلى التطهير، ومن التطهير إلى الاستنارة، ثمّ من الاستنارة إلى التمجيد، أي إلى «التألّه» بالنعمة، هو الشوق السرّي الكامن في الإنسان في كلّ حقبة من تاريخ البشريّة. وفي منتصف هذه المسيرة نلتقي في الأحد الثالث من الصوم، أحد السجود للصليب، في طريقنا نحو الفصح. وهنا تُقدِّم لنا كنيستُنا المنتصرَ الأوحد، الذي لا يُدحَض ولا يُنازَع، في الظفر الفصحيّ: ربّنا وإلهنا يسوع المسيح المتجسّد، الذي سنراه في الفصح غالبًا الموت ودائسًا إيّاه، إذ اختار بحرّيّة الطاعة حتّى الموت للآب. وهو يدعونا نحن البشر أيضًا أن نختاره بحرّيّتنا مخلِّصًا لنا، فنطيع مشيئته المقدّسة. ■

الأربعاءُ، يومُ الضيافةِ الصامتة

«العنوان مقاربة روحيّة لا تسمية طقسيّة رسميّة.»

«هذا تأمّل روحي بروح نُسّاك ورهبان جبل آثوس المقدّس، مستمدّ من خبرة الصمت، الصوم، وحضور والدة الإله غير المنظور».

«قَامت الملكةُ مِن عن يمينِكَ، متوشِّحةً بثوبٍ مُذَهَّبٍ مُوَشَّى» (مزمور ٤٤:١٠)، هكذا يُرنِّمُ القولُ **النبويّ لداود**، وترى الكنيسةُ في **شخصِ والدةِ الإلهِ** تلك الأمَّ التي تقفُ دائمًا إلى جانبِ سرِّ الآلام. فالأربعاء، يومُ ذِكرى الخيانة، هو أيضًا يومُ ذِكرى أولى الآلام العُظمى التي اختبرتها **والدةِ الإله**. وكما سبقَ وتنبّأ **سمعان الشيخ**: «وَأَنْتِ أَيْضًا يَجُوزُ فِي نَفْسِكِ سَيْفٌ» (لوقا ٢:٣٥). ذلك السيفُ لم يكن **من حديد**، بل كان سيفًا روحيًّا؛ إنه وجعُ الأمّ التي ترى ابنَها يُقادُ بإرادتِه إلى الصليب.

في كوخٍ متواضعٍ مكرَّسٍ **لوالدةِ الإلهِ الكلّيّةِ القداسة**، كانت **راهبةٌ مُسنّة أم روحيَّة (ييروندیسا)** ، على مدى أربعين سنة، تقوم بخدمةٍ خفيّة. فبعد القدّاس الإلهيّ يوم الأربعاء، وإذ كانت تلتزم صومًا صارمًا، كانت تُعدّ فنجانًا منقوعًا ساخنًا من أعشاب الجبل، وتضعه في دار الضيافة قرب النافذة. لم تكن تلمسه. لم تكن تتذوّقه. كانت تتركه دعوةً مفتوحة. لم تكن هذه الممارسة **خرقًا للصوم**، بل ذبيحةَ قلب. لأنّ الصوم الحقيقي، بحسب **القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم**، هو: «ليس الامتناع عن الأطعمة فقط، بل الابتعاد عن الشرّ». وهنا لم يكن ثمّة أيّ شرّ، بل **ضيافةٌ روحيّة خالصة**.

عندما سألتها أختٌ أحدث سنًّا لماذا تفعل ذلك، كان الجواب بسيطًا وعميقًا. فالأربعاء هُوَ يَوْمُ وَحْدَةِ وَالِدَةِ الإِلَهِ. (ملحوظة:لا كوحدة الهجران، بل كوحدة الشركة الصامتة، حيث تشارك ابنها سر الألم بطاعة وإيمان، منتظرة القيامة دون أن تُنقص من سر الصليب.)، وإن كانت هي تجول في العالم مُعزِّيةً المتألّمين، فليكن لها أيضًا ركنٌ تجد فيه موضع راحة. هذه الفكرة تُذكّر بقول الربّ: «ها أنا واقفٌ على الباب وأقرع» (رؤيا ٣:٢٠). فإن كان المسيح يقرع باب القلب، فكم بالحريّ تطلب أمّه المحبّة، لا لكي تأخذ، بل لكي تهب.

في ذلك اليوم، عندما اندلعت عاصفةٌ والتفَّ الضبابُ حول الدير، تحوَّلت صلاةُ الراهبة المُسنَّة إلى صرخةٍ صامتة، وبعد انقشاع العاصفة كان المكان مغمورًا بسكينةٍ عميقةٍ وعطرٍ لا يُوصَف، وهذه الرائحة ليست غريبة عن الخبرة الأرثوذكسيّة، إذ يعلِّم **القدّيس غريغوريوس بالاماس** أنّ **نعمة الله** تُدرَك «لا بالخيال، بل بعمل **الرُّوح**»، إنَّ حضور **والدة الإله** لا يحتاج إلى استهلاكٍ ماديّ ولا إلى علامةٍ خارجيّة، يكفي القلب المفتوح، وكما كتب **القدّيس يوحنّا الدمشقي**: «إنّها أكرم من الشيروبيم، وأرفع مجدًا بغير قياسٍ من السيروفيم»، فإنّ **والدة الإله** تحضر سرًّا حيث توجد التواضع والطهارة.

إنَّ فعلَ الراهبةِ المُسنّةِ يكشفُ معنًى أعمق. فالصومُ ليس مجرّد امتناعٍ عن الطعام، بل هو أيضًا **تنميةُ روح الضيافة**. **فالرسولُ بولسُ** يوصي قائلًا: «لاَ تَنْسَوْا إِضَافَةَ الْغُرَبَاءِ، لأَنْ بِهَا أَضَافَ أُنَاسٌ مَلاَئِكَةً وَهُمْ لاَ يَدْرُونَ.» (عبرانيين ١٣:٢). وهذه الضيافة قد تكون مقعدًا فارغًا، أو فنجانًا مُعدًّا، أو كلمةَ تعزية. وفي يوم الأربعاء، **يوم ذكرى الخيانة**، تدعو الكنيسةُ إلى **التوبة**، ومعها تدعو أيضًا إلى انفتاح القلب. لأنّ **والدة الإله لا** تطلبُ كراماتٍ خارجيّة، **بل موضعًا تسكن فيه**. ويقول القدّيس غريغوريوس اللاهوتي: «إنّ الله لا يسكن إلّا في القلب النقي». وهناك تستريح أيضًا أمُّه.

وهكذا يمكن لكلّ يومِ أربعاء أن يصير يومَ دعوةٍ صامتة؛ **لا** صومِ اللسانِ والمعدةِ فقط، بل صومِ **الأنانيّة أيضًا**. أن يُترَك في قلبِ اليوم موضعٌ **لوالدةِ الإله**، زاويةٌ تبقى فيها القلوبُ مفتوحة. وحينئذٍ، حتى إن لم نَرَ شيئًا محسوسًا، فإنّ السلام الذي يفيض في المكان يكون العلامةَ الأكيدة على أنّ **«الممتلئةَ نعمة»** قد مرّت.

ففي دارِ الضيافةِ المتواضعة، فنجانٌ دافئ، وكرسيٌّ فارغ، وقلبٌ مفتوح، ينتظرون أمَّ الحياة.

«صلُّوا لأجل الذين يُسيئون إليكم»

(مت ٥: ٤٤؛ لو ٦: ٢٨)

حسب آباء الكنيسة العظام

الصلاة بصفةٍ عامة:

الصلاة؛ بصفةٍ عامة؛ ليست مجرَّد طقس أو فرض يُتمِّمه الإنسان لكي يستريح ضميره إنَّهُ أكمل وصيَّة الصلاة؛ بل هي أولًا اشتياقٌ إلهي نحو الإنسان؛ وثانيًا هي نزوع داخلي عميق في قلب الإنسان نحو إلهه الذي أحبَّه وأسلم نفسه **للموت من أجل خلاصه**، لكي يحيا في شركةٍ حقيقية مع مُخلِّصه الصالح. ونستطيع أن نقول إنَّ الصلاة هي في عُمقها مُبادرة إلهية نحو **الإنسان**، واستجابة فورية **من الإنسان** نحو دعوة الله.

فأروع مُبادرة إلهية نحو الإنسان، ليعود إلى حضن الله؛ هي سرّ المحبة التي أظهرها الله الآب **للإنسان** بتجسُّد ابنه الوحيد وبَذْل حياته للموت لأجل خلاص الإنسان الخاطئ، لينتشله من هوَّة الفساد والموت إلى الحياة الأبدية والشركة مع الله.

والإنسان مُطالَبٌ، كما قال **الرَّب يسوع**: « أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلاَ يُمَلَّ» (لو ١٨: ١)، بل كما قال **بولس الرسول**: «صَلُّوا بِلاَ انْقِطَاعٍ» (١تس ٥: ١٧). وقد أوصى **بولس الرسول**: «لاَ تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعْلَمْ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللهِ.» (فيلبي ٤: ٦).

† ويُعلِّق **القديس يوحنا ذهبي الفم** على ما ذَكَره **بولس الرسول** في (فيلبي ٤: ٦)، قائلاً:

[إذًا، ما هو هذا الدواء؟ إنَّهُ الصلاة، مع الشكر لأجل كلِّ شيء. حتى أنه (أي بولس الرسول) لا يريد أن تكون الصلوات فقط طلبات، وإنما أيضًا تشكُّرات لأجل الأشياء التي لدينا. لأنَّهُ كيف سيطلب أحدٌ ما الأمور المستقبلة دون أن يكون شاكرًا من أجل الأمور السابقة؟ إنه يقول: «بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ»، وبالتالي يجب علينا أنْ نشكرَ على كلِّ شيء، بل وعلى تلك الأشياء التي يُعتقَد أنها تُسبِّب حُزنًا. إنَّ هذه، في الحقيقة، هي سِمَة الإنسان الشَّاكر، لأن هذا بالتأكيد ما تتطلَّبه طبيعة الأشياء، ولكن هذا يأتي من النفس التي تشعر بالامتنان، وعلاقتها قويَّة **بالله**. هذه الصلوات هي التي يعرفها **الله**، أمَّا الصلوات الأخرى (**الشكليَّة**) فلا يعرفها. هكذا، إذًا، فلتصلُّوا حتى تُعرَف صلواتكم...] (١).

الصلاة لأجل الجميع:

وقد طلب **بولس الرسول** من تلميذه تيموثاوس في رسالته الأولى له، وبالتالي يطلب منَّا: «أَنْ تُقَامَ طِلبَاتٌ وَصَلَوَاتٌ وَابْتِهَالاَتٌ وَتَشَكُّرَاتٌ لأَجْلِ جَمِيعِ النَّاسِ، لأَجْلِ الْمُلُوكِ وَجَمِيعِ الَّذِينَ هُمْ فِي مَنْصِبٍ، لِكَيْ نَقْضِيَ حَيَاةً مُطْمَئِنَّةً هَادِئَةً فِي كُلِّ تَقْوَى وَوَقَارٍ، لأَنَّ هذَا حَسَنٌ وَمَقْبُولٌ لَدَى مُخَلِّصِنَا اللهِ، الَّذِي يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ» (١تيموثاوس ٢: ١-٤).

ومن خلال دعوة الصلاة لأجل الجميع، تأتي دعوة **الرَّب يسوع** لنا جميعًا: «صَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ» (مت ٥: ٤٤).

إنَّ الصلاة لأجل المُسيئين إلينا، تُظهِر بوضوح انسكاب محبة الله في قلوبنا **بالرُّوح القُدُس** المُعطَى لنا (رومية ٥: ٥)؛ وبالتالي رغبة قلوبنا، كما هي رغبة **الله**، في أن يؤمن جميع الناس **بالرَّبّ يسوع** ويعترفون به إلهًا ومُخلِّصًا لهم، فينالون الخلاص والحياة الأبديَّة.

إنَّ **الخطية والبُغضة تُقسِّيان** القلب من نحو الآخرين، كما قال **بولس الرسول**: «لِكَيْ لاَ يُقَسَّى أَحَدٌ مِنْكُمْ بِغُرُورِ الْخَطِيَّةِ» (عب ٣: ١٣). وأكبر دليل على الصفح ومُسامحة المُسيئين إلينا، هو الصلاة من أعماق القلب لأجل أولئك الكارهين لنا والمُسيئين إلينا. فالصلاة تُمهِّد قلب المُسيء وتنخس ضميره، لعلَّه يرتدع عمَّا يرتكبه من إساءات، وبالتالي يتوب ويرجع إلى نفسه أولًا، ثم يعود إلى أحضان **الآب السماوي**.

† ويُنبِّهنا **القديس أنطونيوس الكبير** بالابتعاد عن **البُغضة والكراهية**، وأن نُظهِرَ المحبة للجميع، ولاسيما للمُسيئين إلينا، فيقول:

[إنَّ مَن يُخطئ إلى قريبه، فإنما يُخطِئ إلى نفسه. ومَن يصنع بقريبه شرّاً، فإنما يصنعه بنفسه. ومَن يصنع خيراً لقريبه، يصنع خيراً لنفسه. فمَن هو الذي يقدر أن يُسيء إلى **الله** أو مَن يقدر أن يوصِّل إليه أذيَّة... لهذا فطالما نحن ما نزال لابسين هذا الجسد الثقيل، **فلنُوقِظ فينا وعي حضور الله الساكن فينا**، بتحريض بعضنا البعض (على المحبة والصلاة)، ونُسلِّم نفوسنا للموت، أي نموت عن الأهواء والخطيئة، لأجل (خلاص) نفوسنا ولأجل (خلاص) بعضنا البعض... فلا نكُن مُحِبِّين لذواتنا حتى

لا نصير خاضعين لقوّتهم **(أي قوّة الشياطين)** الخفيَّة، لأن مَن يعرف نفسه يعرف جميع الناس... والذي يقدر أن يُحبَّ (خلاص) نفسه، يُحب (خلاص) كل الناس] (٢).

وهذه الصلوات التي تُرفع من أجل المُضطهِدين والمُسيئين، نراها جليَّةً في قصص المُعترفين والشهداء، الذين لم يكفُّوا لحظةً عن الصلاة من أجل الجميع، ولاسيما مُضطهِديهم ومُعذِّبيهم.

✝ فعلى سبيل المثال، كان يوجد جندي يُدعى **تراكوس**، قد ترك الخدمة العسكرية في **بداية الاضطهاد الذي أثاره ديوكلتيانوس**. وقُبض عليه سنة ٣٠٤ في **مدينة بومبي**، هو وزميلاه **بروبوس** و**أندرونيكوس**، وقد حوكموا محاكمةً علنيَّة وعُذِّبوا في ثلاث مدن رئيسية. وعندما قُدِّم **تراكوس** ثانيةً للمُحاكمة، قال له **الوالي مكسيموس**: «أعتقد أنَّ الناس يوقِّرون الشيخوخة بسبب الحكمة والتعقُّل اللذين يُصاحبانها. لذلك راجع نفسك، ولا تُصِرُّ على أوهامك السابقة، بل قَرِّب للآلهة ونلْ ثناء التقوى».

فردَّ عليه **تراكوس**: «أنا مسيحي، وأُصلِّي لأجلك ولأجل أباطرتك لتنالوا نفس الثناء، وتتركوا عنكم كل قساوة قلب وعَمَى، حتى يقودكم الإله الحق بسرعةٍ إلى اعتقادٍ أسمى وأفضل».

وحينئذ أمَر الوالي أحد الجنود أن يدُقَّ فم **تراكوس** بالحجارة، ليَكُفَّ عن كلامه هذا.

فأجابه الشهيد: «لا شيء مِمَّا في سلطانك يستطيع أن يؤذيني، حتى لو قطعتَ كلَّ أطرافي. إنني واقفٌ بثبات أمامكم، **في المسيح** الذي يُقوِّيني».

وعندما قُدِّم **تراكوس** مرَّةً ثالثة للمُحاكمة، أمَر الوالي أن يُربَط على آلة تعذيب خاصة، ولكن الشهيد قال بقوةٍ وعزم: «افعلْ بجسدي كلَّ ما يُرضيك في حياتي وبعد مماتي».

وإثر هذه الكلمات الجريئة والشُّجاعة، زاد الوالي من تعذيبه للشهيد **والتنكيل به بقسوةٍ**. وأخيرًا، أمَرَ بطرح تراكوس وزميليه الآخرَين للوحوش. لكن الوحوش كانت تتقدَّم نحوهم وتلعق أقدامهم. فاستشاط الوالي غضبًا، وأمَر بقطع رؤوسهم جميعًا بحدِّ السيف، فنالوا أكاليل الشهادة (٣).

فهناك ارتباطٌ وثيق بين **محبة الله** التي تملأ قلب الإنسان، ليست فقط من **نحو الله**، وإنما أيضاً محبة خالصة من نحو خلاص الآخرين ونجاتهم من فخاخ العدو؛ وبين الصلاة من قلب طاهر للجميع بلا استثناء، من قلب لا يحمل بُغضة أو عداوة أو يشعر بأيِّ انتقام للمُسيئين.

وبالتالي فالذي يحبُّ من كلِّ قلبه، يغفر أيضًا الإساءة من كلِّ قلبه، ويُسامح مَن يُسيء إليه ويُبغضه، كما **يقول بولس الرسول**: «مُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً إِنْ كَانَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ شَكْوَى. كَمَا غَفَرَ لَكُمُ الْمَسِيحُ هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً» (كولُسي ٣: ١٣).

ومِن ثمَّ، إذا كان الحبُّ النقي يملأ قلب الإنسان، فإنه يُسامح ويغفر أيضًا من كل كيانه؛ وحينئذ يرفع قلبه بالصلاة والدعاء من أجل المُضطهِدين والمُسيئين والكارهين، لكي **يهديهم الرَّبّ ويجتذبهم** إلى معرفته، ويستفيقوا من **فخ إبليس** الذي اقتنصهم **لإرادته**.

✝ ويربط **القديس مكاريوس الكبير** بين المحبة وبين المغفرة لمن أساء إلينا، فيقول: [تأمُر الكُتُب المقدَّسة بأنه:« فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ، لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ.» (أم ٤: ٢٣)، لكي إذا ما حَفِظَ الإنسانُ الكلمةَ في قلبه، كفردوس، تمتَّع بالنعمة، غير مُنصتٍ **للحيَّة (أي الشيطان)** التي تزحف بالداخل مُوسوسة بما يبعث على اللذَّة، تلك اللذّة التي يُولَد بواسطتها **الغضب** الذي يقتل الأخ، بينما تموت النفس التي ولدته (أي التي وَلَدَت الغضب) (انظر ١يو٣: ١٥).

لأجل هذا **فكلُّ مصافِّ الأنبياء القدِّيسين والرسل والشهداء** كانوا يحفظون الكلمة في قلوبهم، غير مُبالين بشيء آخر، بل مُفضِّلين على الكلِّ محبة الله والصلاح النابعين من **الرُّوح القُدُس**. وهذا ليس فقط بالقول أو بمجرَّد المعرفة، بل بالقول والفعل وبواسطة الأعمال دائمًا... فإنهم لمَّا **أبغضوا لذَّات الحياة** بإرادتهم، صاروا يحبّون بالأحرى الذين يسلبونهم هذه اللذّات قسرًا، لأنهم رأوا فيهم معينين لهم على الثبات في سعيهم نحو الغاية.

فإنهم **ما** كانوا يستنكرون الصالحين ولا كانوا يلومون الطَّالحين، بل يحسبون الجميع مُنَفِّذين لتدبير **السيِّد**، لذلك فقد صارت لهم من نحو الجميع مودَّةٌ متأصِّلة. فإنهم لمَّا سمعوا **الرَّبّ** قائلاً: «اِغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ» (لوقا٦:٣٧)؛ حينئذ راحوا يحسبون الأئمَّة مُحسنين، مغتنمين منهم الفُرَص لنَيْل المغفرة. ولمَّا سمعوا أيضًا: «وَكَمَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا أَنْتُمْ أَيْضاً بِهِمْ هكَذَا» (لوقا٦:٣١) ؛ حينئذ أخذوا يُحِبُّون حتى الصالحين في ضمائرهم **(أي الممسوكين بالبرِّ الذاتي)**، لأنهم هم أنفسهم حين تركوا برَّهم الذاتي والتمسوا **برَّ الله**، وَجدوا تبعًا لذلك المحبة المكنونة طبيعيًا في **برِّ الله**](٤).

هكذا تتجلّى الصلاة، لا ككلمات تُقال بالشفاه، بل كحياة تُعاش بالمحبّة والمغفرة وبذل الذات. فالقلب الذي امتلأ **بمحبة الله**، لا يعود يعرف العداوة، ولا يضيق بالآخرين، بل يتّسع للجميع، أصدقاءً كانوا أم مُسيئين. وحيث تحفظ الكلمة في القلب، وتُصان النعمة بالسهر والتواضع، هناك يولد إنسان الصلاة الحقيقي، الذي يشترك مع القديسين في طريق الجهاد، وينتظر برجاء ثابت **خلاص الله**، عالمًا أن المحبة التي تُصلَب اليوم بالصبر، تُتوَّج غدًا بقيامة الحياة.

(١) «تفسير رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي»، العظة الرابعة عشرة، في ٤: ٦.

(٢) «رسائل القديس أنطونيوس»، الرسالة السادسة.

(٣) سينكسار القديسين

(٤) «أعمال للقديس مكاريوس الكاملة: العظات الخمسون»، العظة ٣٧: ١-٢.

النسر وميدان المعركة

النسرُ لا يُحارب **الحيّة** على الأرض. لا ينزل إلى حيث تكون الحيّة في موضعها المألوف، **قويّةً وقاتلة**. بل يرفعها عاليًا، إلى السماء، فيُغيّر ميدان المعركة، وحينئذٍ يتركها. هناك، حيث لا طاقة لها، ولا توازن، ولا قوّة. هناك تُجرَّد من حكمة الأرض، وتنكشف ضعيفةً وهشّة.

هذا الكلام ليس دنيويًّا، بل هو عميقٌ في روحه. فالإنسان الذي يُصِرّ على أن يُحارب بوسائل بشريّة، **في منطق العقل وحده، وفي الغضب، وفي تبرير الذات**، يُشبه ذاك الذي ينزل إلى التراب **ليُصارع الحيّة**. هناك يفقد سلامه، وتمييزه (بصيرته)، وفي النهاية يفقد نفسه.

أمّا الكتاب المقدّس فيدعونا إلى طريقٍ آخر، إذ يقول: «فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ» (أف ٦:١٢). **فالمعركة ليست أرضيّة، بل روحيّة.**

حين يرفع الإنسان ذهنه نحو الله، وحين ينقل الصراع من الانفعال إلى الصلاة، ومن الأنانية إلى التواضع، عندئذٍ يتغيّر ميدان المعركة كلّه. **هناك يعمل الله.**

«الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمُتُونَ» (الخروج ١٤:١٤). حينئذٍ يكفّ الإنسان عن الجهاد وحده، ويسلّم المعركة **للربّ**. وعندها يتحوّل الضعف إلى قوّة، «لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ» (رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس ١٢:٩). في العلوّ الروحي **لا تحتمل الحيّة.**

فالشرير يتغذّى من الخوف، والاضطراب، والدينونة، والتشويش. ولا يحتمل النور.

«فَاخْضَعُوا للهِ. قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ.» (يعقوب ٤:٧).

المقاومة ليست صراخًا، بل طاعة. وليست هجومًا، بل ثقة. وليست أنانية، بل تسليمًا. المسيح هو الذي أرشدنا إلى هذا الطريق. لم ينزل إلى مستوى التجربة، بل أجاب **بكلمة الله**. ولم **يُحارب بقوّة هذا العالم، بل بصمت الصليب**. وهناك، حيث بدا الأمر هزيمة، تجلّت الغَلَبَةُ الكاملة. «ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ». (يوحنا ١٦:٣٣)

ومن يصعد معه، ينتصر من غير أن يتدنّس. لذلك لا تبقَ على الأرض. لا تُفاوض العدوّ في منطقة راحته. ارفع المعركة إلى العُلى، هناك حيث تسكن النعمة. هناك حيث يستنير الذهن، وتهدأ القلب، ويتولّى الله الأمر. عندئذٍ لا يكون النصر مجرّد أمرٍ مؤكّد، بل يكون **نقيًّا، سلاميًّا، وخلاصيًّا.**

فطوبى للإنسان الذي تعلّم أن يرفع قلبه قبل أن يرفع صوته، وأن يلجأ إلى الصلاة قبل أن يدخل في الصراع. طوبى لمن عرف أن النصر لا يُنتزع بالقوّة، بل يُوهَب بالنعمة؛ وأن السلام لا يُصان بالجدال، **بل بالثقة بالله**. فحين يسلّم الإنسان معركته **للربّ**، لا يعود وحده، ولا يعود ضعفه عثرة، بل يصير موضع **عمل الله**. وهناك، في سكون الطاعة، يختبر القلب غلبة لا يقدر العالم أن يمنحها، ولا العدو أن ينزعها.

كلمةٌ مُهداة إلى الذين تعبوا من القتال وحدهم، وإلى كلّ من يطلب القوّة الآتية من العُلى.

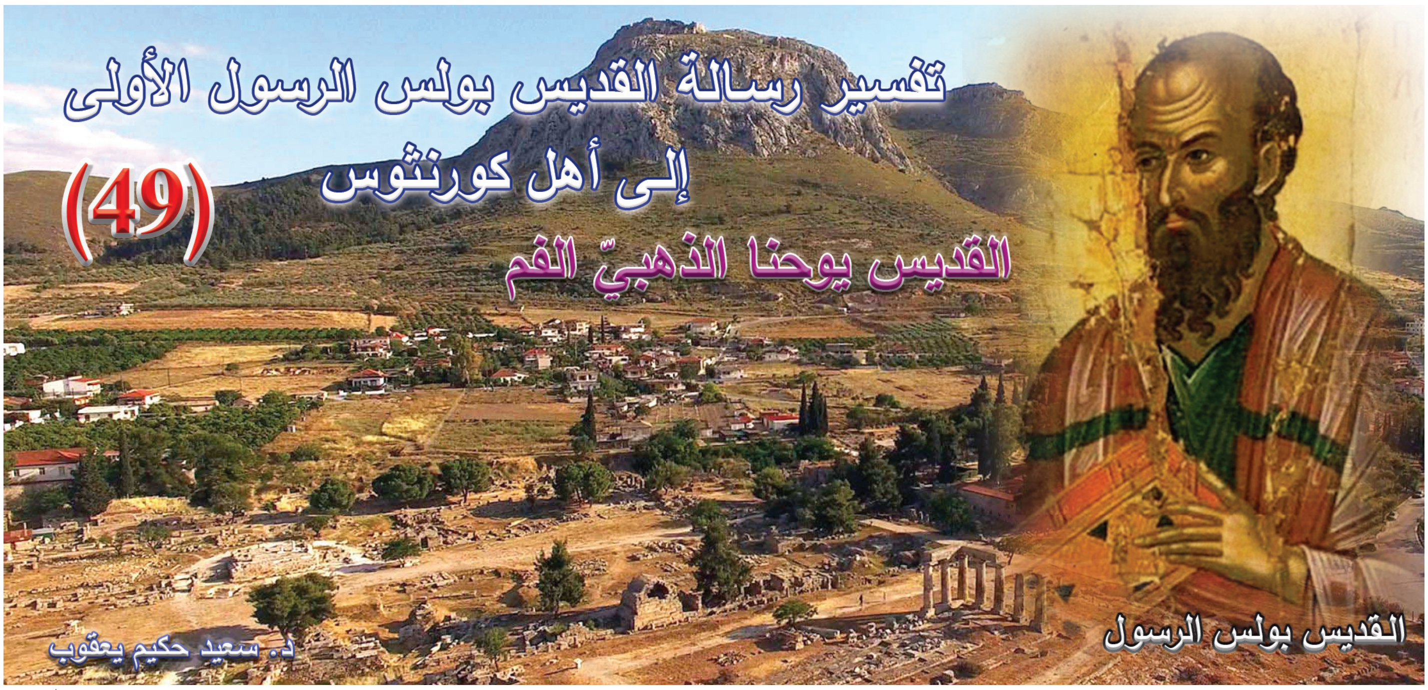

الإصحاح السادس:

تابع لعظة السادسة عشر: (١كو٦:٧-١١)

٦) يبدو أن **الظلم والتجربة** هما من الأمور المرعبة والمخيفة، أليس كذلك أيها الإنسان، إلى أي مدى تخشى من الأمور الحاضرة؟ إن الله أيضًا لا يأمر بقبول **الظلم والتجربة** إن كانت مفزعة ومخيفة. لكن لاحِظْ، أن الظالم عادةً ما يرحل وهو يحمل ضميرًا شريرًا، وهو يمتلك أموالًا كثيرة، أمّا المظلوم فرغم أنه محروم من المال، إلّا أنه له دالّة أمام الله، الأمر الذي هو أفضل من كنوز لا حصر لها.

ونحن علينا أن نضع هذه الأمور في اعتبارنا، فلنتناولها بحكمةٍ وبإرادةٍ حرّة، ولا نعاني من تلك الأمور التي عانى منها الحمقى الذين يعتقدون أنهم لم يُظلَموا حين تلقّوا حُكم **المحكمة**. العكس تمامًا هو الذي يمثّل أكبر خسارة، عندما لا نسلك بهذه الحكمة بإرادتنا، لكن بعد أن نكون قد كابدنا الهزيمة.

لأنه لا يوجد أي ربح يمكن أن يناله أحد من **محكمة** وهو مهزوم، مادام الأمر مرتبطًا بالإذعان لحكم **المحكمة**. إذًا ما هو الانتصار المُشرِق؟ هذا الانتصار يتحقَّق عندما تزدري بحقك ولا تبحث عنه، وعندما **لا تلجأ إلى القضاء**.

ماذا تقول؟ فربما يقول أحد: لقد نزعوا كل ممتلكاتي، وتوصيني بأن أصمت؟ لقد جعلوني في حالة ثورة وهيجان، وتنصحني أن أحتمل برفق؟ وكيف يمكنني أن أفعل هذا؟ بالطبع يمكنك أن تفعل هذا وبكل سهولة، إن كنت تتطلع إلى السماء، إن كنت تتحمّل الظلم بشجاعة. هذا ما ينبغي أن نفعله، وطالما ترفع نظرك نحو السماء، فلتكن متأكدًا أنك صرت شبيهًا بالجالس **فوق الشاروبيم**. لأنه كما هو معروف أن المسيح له المجد، **أهين أيضًا**، ومع ذلك احتمل الاستهزاء، ولم يرد، جُلِدَ ولم يقاوم، بل إن أعداءه الذين فعلوا كل هذه الأفعال المشينة، قد كافأهم بإحسانات لا حصر لها، وأوصانا أن نصير مثله، متشبهين به.

لتفكّر بأنك عريانًا قد خرجت من بطن أمك، وعريانًا سترحل من هذا العالم، وأنت ومن ظلمك، وربما من ظلمك سيرحل بقروحٍ كثيرةٍ تَلِدُ دودًا. لتضع في اعتبارك أن الحياة الحاضرة **هي حياة مؤقتة**، فكّر في **قبور أجدادك**، افحص الأحداث بهدوء وسترى أن ذاك الذي ظلمك، قد جعلك أكثر قوّة. بمعنى أن شهوته – أي بخله وحبّه للمال – قد جعله مخيفًا، أمّا احتمالُك فقد جعله أكثر ضعفًا.

طالما أن هذا الظالم لم يُطعِم الوحش الكامن في داخلك (أي شهوة الانتقام)، بل إن سلوكه هذا يكون قد خلّصك من الاهتمامات الدنيوية، ولا سيّما المتعلّقة بالمال وكثرته. ومن القلق ومن الحسد والنميمة والضوضاء والاضطراب والخوف المستمر وثِقَل الخطايا التي يجمعها هو فوق رأسه.

إذًا وقد يقول أحد: ماذا أفعل إن كنت أُصارِع مع الفقر والجوع؟ فلتحتمل هذا مع الرسول بولس الذي يقول: «إِلَى هذِهِ السَّاعَةِ نَجُوعُ وَنَعْطَشُ وَنَعْرَى» (١كو ٤: ١١). لكن **بولس** قد احتمل هذا لأجل الله، هكذا يقول البعض. وأنت أيضًا يجب أن تفعل هذا لأجل الله، لأنك عندما لا تجازي الشر بالشر، فأنت تفعل هذا لأجل الله.

وذاك الذي ظلم قد يعيش في رخاء مع الأغنياء، لكنه في الحقيقة يعيش **مع الشيطان**، بينما أنت ستُتوج مع **بولس**، إذًا لا تخشى الجوع، لأنَّ «اَلرَّبُّ لاَ يُجِيعُ نَفْسَ الصِّدِّيقِ» (أمثال١٠: ٣). ويقول آخر أيضًا: «أَلْقِ عَلَى الرَّبِّ هَمَّكَ، فَهُوَ يَعُولُكَ.» (مزمور ٥٤: ٢٢)، لأنَّهُ إن كان يعول عصافير الحقل، فكيف لا يعولك أنت؟

ينبغي لنا أيها الأحباء ألّا نكون قليلي الإيمان ولا صغار النفوس، لأن الذي وعدنا هو ملك الملوك، وقد وعدنا بخيرات وفيرة جدًا، فكيف لا يعطينا خيرات الحياة الحاضرة؟ يجب ألّا نشتهي الأمور الزائدة، بل ينبغي أن نكون مكتفين بما لدينا، وسنصبح دومًا أغنياء. لنطلب القوت والكسوة فقط، وحينئذٍ سننال كل شيء، خيرات هذه الحياة الحاضرة وأكثر منها بكثير. ولكن إذا كنت لا تزال منزعجًا ومنكس الرأس، أريد أن أوضح لك كيف ستكون حالة نفس الظالم الذي فاز، بعد نشوةٍ قصيرة، إذ تنتهي هذه النشوة إلى فراغٍ وانحلالٍ كرماد. خاصة وأن هذه هي نتيجة الخطيئة، فعندما يمارس هذا الظلم، فإنه يمنَح بعض

النشوة واللذة، ولكن عندما يتحقق ذلك، عندئذٍ تختفي هذه اللذة اليسيرة وتعتصر نفس الظالم الخاطئ حُزنًا. هذه الأمور نعاني منها أيضًا عندما نشتُم البعض، ثم سرعان ما ندين أنفسنا. هكذا أيضًا عندما يسود علينا الطمع، نسعد وقتيًا وبعد ذلك يؤنبنا ضميرنا.

أرأيت منزل الفقير بجوار منزل جاره الغني؟ فلتبك، ليس على ذاك الذي يتذوق الحرمان، بل على ذاك الذي أخذ، لأنَّهُ لم يعمل فقط على رفع الفقر عنه، بل وجلب شرًا على نفسه. بمعنى أنَّ الفقير قد حُرم من خيرات الحياة الحاضرة، لكنه ربح خيرات الحياة الأبدية التي لا توصف، لأنه إن كان ذاك الذي لم يعطِ، لمن كانوا في حالة احتياج وعوز، سيذهب **إلى الجحيم**، فماذا سيعاني ذاك الذي أخذ ما يمتلكه الفقراء؟

وقد يقول أحد: وما هو الربح من وراء الخسارة التي تصيبني؟ بالحقيقة عظيم هو الربح الذي ستناله، لأن الله لن يقدّم لك المكافأة عن طريق معاقبة من سبّب لك الضرر، لأن هذا لن يُعتبر شيء ذو أهمية على الإطلاق، لأنه ما المنفعة؟ عندما أخسر أو أُهلك أنا، ويهلك ذاك، لكنني أعرف الكثيرين مما يعتقدون أن عقاب الظالم فيه تعزية كبيرة، ويتصوَّرون أنهم نالوا ما أرادوا وحققوا إشباعًا ورضًا كاملًا عندما يرون أولئك الذين صنعوا بهم شرًا وهم ينالون جزاءهم.

لكن الله لا يقرّر مكافأتك وفق هذه المعايير، فهل تريد أن تعرف كم الخيرات التي تنتظرك؟ سيفتح لك كل أبواب السماء، وسيجعلك شريكًا للقديسين في الوطن السماوي، ويُعِدّ لك مكانًا لكي تشارك في نفس مصاف هؤلاء القديسين، ويُطهّرك من الخطايا ويتوّجك بالبر.

فإن كان هؤلاء الفقراء يُغفرون عن الخطايا التي ارتكبها أولئك الأغنياء الذين أضرّوا بهم، فهل يُعقل أن يُرفض الدفاع عن الذين ليس فقط قد صفحوا، بل صنعوا إحسانات لمن أساءوا إليهم وأضرّوا بهم؟

إذًا لا تتألم من أجل الظلم، بل يجب أن تصلّي من أجل الذي ظلمك، لأن هذا تصنعه من أجل نفسك. هل أخذ منك أموالًا؟ لكنه في ذات الوقت حرّرك من الخطايا، الأمر الذي حدث مع نعمان وجِحزي (٢ملوك٥:٥). كم من المال تريد أن تعطي حتى تُغفر لك خطاياك؟

هذا ما يحدث الآن، أي إن كنت تستطيع أن تصبر وتحتمل بنبل وشهامة، دون أن تتذمّر، فإنك ستتوج بتاج بهي. هذا ليس كلامي، بل اسمع **المسيح** له المجد حين يقول: «صَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ»، وتأمّل في المكافأة: «لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متى ٥:٤٤-٤٥). حتى أنك هكذا تصير في وضعٍ الذي ليس فيه حرمان البتة، بل بالعكس تكون قد نلت كل شيءٍ، ولم تُظلَم، بل تكون قد تُوّجت، طالما أن نفسك قد صارت أكثر حكمة وصرتَ **مُتَمَثِّلًا بالله**، وتحرّرتَ من الاهتمام بالمال، ونِلتَ ملكوتَ السماوات.

وبعدما نصبح قادرين أن ندرك قيمة كُلّ ذلك، فلننظر إلى الظلم بحكمة وتعقُّل حتى نتحرر من اضطرابات هذه الحياة الحاضرة وحتى نتخلّص من الكآبة الضارة وننال الفرح الأبدي، بالنعمة والرأفات ومحبة البشر اللواتي **لربنا يسوع المسيح** الذي يليق به مع **الآب والرُّوح القُدُس** المجد والقوة والكرامة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور. آمين.

يتبع في العدد القادم

الصلاةُ الأرثوذكسيّةُ... هِبةٌ منَ النُّورِ غيرِ المخلوق

تؤمن **الكنيسة الرُّوميَّة الأرثوذكسيّة** بالمحبّة الصادقة تجاه كل إنسان، لأنّ كل إنسان هو مدعوّ إلى الخلاص من خلال سرّ التدبير الإلهي، غير أنَّ هذه المحبّة الصادقة لا تنفصل عن الأمانة للوديعة الرسوليّة التي تسلّمتها الكنيسة وحفظتها عبر القرون دون انقطاع. وتشهد **كنيسة الروم الأرثوذكس** بتاريخها الحيّ وأديرتها العريقة، **كدير القديسة كاترينا في سيناء، ودير القديس سابا المتقدّس، ودير القديس جوارجيوس خوجاڤا في أريحا، وسائر الأديرة المقدّسة**، على عراقة وأصالة الإيمان الأرثوذكسي واستمراريّته، لا بوصفه تراثًا تاريخيًّا، بل حياةً كَنَسيّة حيّة.

وفي زمن الصوم الأربعينيّ المقدّس، تذكّرنا الكنيسة بما نصلّيه في أفشين **القديس باسيليوس الكبير** في ختام خدمة القدّاس السابق تقديسها، حين نطلب من **الله** أن يثبّتنا «..**في إيمانٍ غير منقسم**..». فالإيمان، بحسب الفهم الأرثوذكسي، ليس إبداعًا بشريًّا ولا ثمرة اجتهادٍ ثقافي أو توافقٍ زمني، بل إعلانٌ لاهوتيّ من **المسيح** الإله نفسه، **سُلِّم** من خلال الرسل الأطهار، وحُفِظ بأمانة عبر الآباء العظام والمجامع المسكونيّة السبعة، كأساسٍ للإيمان المُعلَن من السماء.

ومن هذا المنطلق، تحترم الكنيسة كل مبادرة تقوم على الحوار والاحترام المتبادل ومحبّة الأشخاص، لكنها تمتنع، بهدوء وأمانة، **عن المشاركة في صلواتٍ مشتركة تعبّر عن شركة إيمانيّة غير قائمة بعد**. هذا الموقف لا ينبع **من رفضٍ أو انغلاق**، بل من **التزامٍ حقيقيّ بالإيمان المُعلَن**، إذ تحرص الكنيسة الأرثوذكسيّة على حفظ ما تسلّمته بأمانة، **لا كتراثٍ قابل للتعديل**، بل كوديعة حيّة تُسلَّم من جيل إلى جيل. وكما أوصى الرسول بولس تلميذه تيموثاوس قائلًا: «وَمَا سَمِعْتَهُ مِنِّي بِشُهُودٍ كَثِيرِينَ، أَوْدِعْهُ أُنَاسًا أُمَنَاءَ، يَكُونُونَ أَكْفَاءً أَنْ يُعَلِّمُوا آخَرِينَ أَيْضًا» (٢تي٢:٢). فالإيمان، بحسب هذا الفهم الرسولي، **ليس مجالًا للاجتهاد أو الابتكار**، بل أمانة تُحفَظ وتُسلَّم في الكنيسة، كما أُعلِنَت من السماء، لأنّ الكنيسة لا تسعى **إلى ما يجذب الأنظار**، بل إلى ما يثبّت النفوس؛ **ولا إلى ما يبدو نورًا**، بل إلى النور الحقيقي غير المخلوق، نور **المسيح**، الذي وحده يقود بوضوح وأمان إلى **الخلاص**.

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كفركنا - الشارع الرئيسي - ص . ب . ٦١٩

e-mail: light_christ@yahoo.com

http://lightchrist.org/bulletins.html

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

IBAN: IL480127260000000111122